التفسير الجامع

فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

مُقَدِّمَة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزة بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله امتثالاً لأمره ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد ﷺ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله وبالعلم الّذي به أمر ﷺ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون). والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد الستّار السيّد

الجُزءُ السَّادس

سورة النّساء من الآية (١٤٨-١٧٦)

سورة المائدة من الآية (١-٨١)

(الآية ١٤٨) - ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨﴾:

هنا يتبيّن لنا بأنّ الإسلام يحارب كلّ ما يؤذي الإنسان أو يضرّه أو يسيء إليه، سواءً أكان مادّياً بجسده أم بفعلٍ من الأفعال، وحتّى السّوء من القول يحرّمه الإسلام ولا يرضاه لأتباعه.

أراد الله ﷻ أن يحمي آذان المجتمع من أقوال السّوء بشكلٍ عامٍّ، وأن يتربّى الطّفل في أسرته وينشأ وهو يستمع دائماً إلى أحسن الأقوال حتّى لا تصدر عنه إلّا أحسن الأفعال. فاللّغة بنت المحاكاة والإنسان لا يتحدّث إلّا بما يسمع، فإذا سمع الطّفل في بيته وأسرته الكلام البذيء والسّيّء فلا بدّ أن ينطق به، ولو عدنا تدريجيّاً حتّى نصل لأبي البشر آدم عليه السلام -وهو أوّل مخلوقٍ على وجه الأرض- وتساءلنا: كيف تكلّم؟ لا بدّ أنّه سمع من الله ﷻ عندما قال جلّ وعلا: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة]، وأوّل ما يتمّ تعلّمه هو الأسماء، فعندما نريد تعليم الكلام للطّفل نقول له: هذا كوبٌ.. هذه شجرةٌ.. هذه محفظةٌ.. هذه نظّارةٌ، وبعدها تلحق بالأسماء الأفعال، والله ﷻ علّم آدم عليه السلام الأسماء كلّها -هذه شمسٌ، وهذا قمرٌ، هذه سماءٌ، هذه أرضٌ..- وبعد أن سمعها تكلّم عليه السلام، والله ﷻ يقول: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، حمايةً للمجتمع من التّعرّض للسّوء من القول، يقول النّبيّ ﷺ:

«**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[1]، فأين أولئك الّذين يتحدّثون بأنّ الإسلام دين إرهابٍ أو دين عنفٍ أو دين قسوةٍ أو دين تطرّفٍ؟! كيف يصحّ ذلك؟ إذا كان الإسلام لم يحرّم فقط الدّماء والأموال والنّفس البشريّة: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: من الآية ٣٢]، بل حرّم أيضاً الجهر بالسّوء من القول، لكي لا يعتاد الإنسان على كلمة السّوء أو يصدر عنه أيّ فعل سوءٍ بحقّ أحد، حتّى ولو كان بالنّسبة لأقرب النّاس إليه؛ لأنّه بعد ذلك سينسحب إلى باقي المجتمع.

لنلاحظ هنا ملاحظةً مهمّةً فعندما أمر الله ﷻ الأبناء بالإحسان إلى الوالدين قال ﷻ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣]، حتّى كلمة أفّ حرّمها، لذلك قال الإمام عليّ كرّم الله وجهه: "لو علم الله في العقوق كلمةً أدنى من أفٍّ لحرّمها، فليعمل العاقّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنّة، وليعمل البارّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل النّار".

فالله ﷻ لا يحبّ الجهر بالسّوء من القول بشكلٍ عامٍّ، وطلب الإحسان بالقول من النّاس وإلى النّاس وإلى البشريّة جمعاء، وحمى آذان المجتمع من أقاويل السّوء، لكنّه استثنى، والمستثنى هنا بإلّا: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ هنا سيقول قائلٌ: إنّ الله ﷻ يقول: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، الحديث رقم (٥٦٧٢).

﴿ظُلِمَ﴾، فكيف يعطي لمن ظُلم هذا الحقّ بأن يقول ويرفع صوته بالسّوء؟ هنا نبيّن أمراً مهمّاً، فهناك فارقٌ بين الأمر الّذي يطلبه الله ﷻ ويأمر به وبين الأمر الّذي يضعه الله ﷻ إباحةً بين يدي الإنسان، وهذا الأمر فقط لمنع إشاعة الظّلم، أي للوقوف في وجه الظّلم وعدم الاعتداء من قبل أحد، يقول ﷻ في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي إنّي حرمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا**»(١).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾: ذكرنا سابقاً أنّه عندما يقول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ أي أنّه ﷻ ليس من عالم الأغيار، فالزّمان والمكان مخلوقان من مخلوقات الله تبارك وتعالى لا ينطبقان على خالق الإنسان.

(الآية ١٤٩) - ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾:

قد بيّن فوراً قضيّة العفو، ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤]، فالله ﷻ لا يحبّ الجهر بالسّوء من القول ومع أنّه أباح ذلك لمن ظُلم حصراً، لكنّه طلب الإحسان، وبيّن بأنّه يحبّه ويحبّ العفو من قِبل الإنسان.

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾: الظّاهر والخفي هو من الأغيار، ويكون للبشر الّذين يتغيّرون ويتبدّلون وتتبدّل أحوالهم، أمّا على الله ﷻ فلا يوجد ما هو ظاهرٌ ولا يوجد ما هو خافٍ، وهو ﷻ يعلم السّرّ وأخفى، وهو

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآدب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

عليمٌ بما في الصّدور.

﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: حبّب الله ﷻ إلينا العفو وجعله هو المطلوب، لكن عند القدرة وليس عند المذلّة، فجاء تذييل الآية بالقدرة مع العفو، فعندما يكون الإنسان قادراً على العفو فذلك أقرب للتّقوى، والإسلام دين لطفٍ لا عنفٍ، دينٌ يُطالب بالعفو. وقضيّة العفو لم تكن موجودةً في تاريخ البشريّة قبل النّبيّ ﷺ، فالنّزاعات والحروب بين البشر كالفرس والرّوم والقبائل العربيّة كانت تبقى حتّى الإبادة أو أخذ السّبي والعبيد، ولكن عندما جاء الإسلام قال النّبيّ ﷺ: «**اذهبوا فأنتم الطّلقاء**»[1]، وعفا عن الجميع استجابةً لأمر الله ﷻ.

(الآية ١٥٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾:

قضيّة الإيمان هي قضيّةٌ كليّةٌ لا أبعاض فيها، وهي أن تؤمن بالله ﷻ والرّسل كافّة، فالأنبياء عليهم السلام اصطفاهم المولى ﷻ من خلقه ليوحي إليهم بدينه وشريعته عن طريق الملائكة عليهم السلام، فهناك وحدة الدّين كما قال ﷻ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشّورى: من الآية ١٣]، فوحدة العقيدة واختلاف الشّرائع يكون عبر مرّ الزّمن حسب تغيّر أحوال الإنسان.

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب السّير، باب فتح مكّة حرسها الله تعالى، الحديث رقم (١٨٠٥٥).

إذاً قضيّة الإيمان هي قضيّةٌ كليّةٌ لا تتجزّأ إلى أبعاض، فلا يمكن أن تقول: أؤمن بالله ﷻ ولا أؤمن بهذا الرّسول، وهناك بعض الدّعوات الآن ومن قبل للابتعاد عن الإيمان بالرّسل عليهم السلام، حيث يقولون: نؤمن بالله ﷻ ولا نؤمن بالرّسل، لماذا؟ لأنّ الإيمان بالرّسل عليهم السلام فيه تكليفٌ.

إن آمنت بالله ﷻ فما هي غاياته جلّ وعلا؟ يقول ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريات]، لا يعتقد الإنسان أنّ العبادة هي الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ فقط، فهذه أركان الإسلام، أمّا العبادة فهي في كلّ عمل خيرٍ يعود على المجتمع وعلى النّاس بالنّفع، فالفلّاح في حقله إذا أحسن وفلح وزرع وحصد فهو في عبادةٍ، والعامل في مصنعه إذا أتقن عمله فهو في عبادةٍ، والموظّف في وظيفته إذا حافظ على وقت العمل وعلى عمله فهو في عبادةٍ، وهكذا بالإحسان وبعمل الخير يصبح كلّ شيءٍ يفعله الإنسان عبادةً لله ﷻ، وأمّا عن أركان الإسلام فهي في قوله ﷺ: «**بُني الإسلامُ على خمس: شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإقامِ الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصوم رمضان**»[1]، فلا بدّ منها؛ لأنّ بناء الإسلام يقوم عليها، ولا تستطيع التّفريق بين الله تبارك وتعالى وبين رسله عليهم السلام، ولا تستطيع أن تقبل بالله ﷻ وتقبل برسولٍ كموسى عليه السلام ولا تقبل برسولٍ كعيسى عليه السلام أو كمحمّدٍ ﷺ، كما فعل اليهود الّذين كانوا

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النّبيّ ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، الحديث رقم (٨).

يجادلون ويناقشون في المدينة المنوّرة.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾: طريقهم بين هذا وهذا، يقولون: نؤمن بموسى عليه السلام ولا نؤمن بمحمّدٍ ﷺ، وهكذا اتّخذوا بين ذلك سبيلاً.

(الآية ١٥١) - ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾:

دائماً مع الإشراك والكفر بالله ﷻ والجحود بأوامره وبرسله يكون الجزاء في الآخرة العذاب المهين.

(الآية ١٥٢) - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾:

هذه هي الصّورة المقابلة لأولئك الّذين جحدوا بآيات الله ﷻ.

كما قال ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]، بينما اليهود قالوا: سمعنا وعصينا، وفرّقوا بين الله ﷻ وبين رسله عليهم السلام.

(الآية ١٥٣) - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾:

سبب النّزول:

عن محمّدٍ بن كعب القرظيّ قال: جاء ناسٌ من اليهود إلى النّبيّ ﷺ فقالوا: "إنّ موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح حتّى نصدِّقك"، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٣﴾﴾، أي أنّهم يريدون أن ينزّل الله ﷻ عليهم أمراً ويطلب منهم ﷻ مباشرةً أن يؤمنوا بمحمّدٍ ﷺ، هذا معنى قوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

القرآن الكريم هو كتابٌ من السّماء، نزل على النّبيّ محمّد ﷺ، أمّا هم فيريدون كتاباً خاصّاً بهم، والله ﷻ يستهزئ بهم فقال للنّبيّ ﷺ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾، فإن كانوا يُطالبونك يا محمّد بأمرٍ مباشرٍ من الله ﷻ لهم، فهم قالوا لموسى عليه السلام: أرنا الله جهرة، وقد قال ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]؛ لأنّ الإدراك هو إحاطةٌ ولا يمكن لأحدٍ أن يحيط بقدرة الله ﷻ وبصفاته.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾: لقد ظلموا أنفسهم واستكبروا وعتوا وطلبوا أن يروا الله ﷻ جهرةً فأنزل الله ﷻ عليهم الصّاعقة فأهلكتهم نتيجة ظلمهم.

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ﴾: أي بعد فترةٍ من الزّمن؛ لأنّ (ثمّ) هي حرف عطف للتّراخي.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: وذلك عندما قال أصحاب سيّدنا

موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشّعراء: من الآية ٦١]، وعندما كان فرعون وجنوده في البحر فأغرقهم الله ﷻ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الشّعراء]، فغرق فرعون ومن معه وكان آيةً بيّنةً عظيمةً للجميع، فالله ﷻ أغرق وأنجى للسّبب ذاته، أغرق فرعون بالبحر وأنجى اليهود الّذين كانوا مع موسى عليه السلام في البحر، وبعد ذلك طلبوا أن يعبدوا العجل، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ﴾، بعد كلّ ذلك عفا الله ﷻ عنهم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾: أعطيناه من الآيات والدّلائل، وأنزل الله ﷻ عليه الألواح.

(الآية ١٥٤) - ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾:

﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾: أي بما عاهدوا وعقدوا وواثقوا الله ﷻ.

رفع الله ﷻ فوقهم جبل الطّور حتّى كاد أن يضربهم وينزل عليهم، وأخذ منهم عهداً وميثاقاً أن يأخذوا ما آتاهم ﷻ بكلّ قوّة.

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾: أي ساجدين.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: السّبت من السّبات ومن السّكن فهو يوم راحةٍ، والقصّة معروفةٌ؛ فعندما تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم ابتلاءً؛ لأنّهم لا يستطيعون الصّيد، كانوا يحتالون ويعتقدون أنّهم يخادعون الله ﷻ في ذلك.

إنّ بعض الآيات وبعض الأحداث الّتي تتعلّق باليهود يوردها الله ﷻ بشكلٍ سريعٍ تسليةً لقلب الرّسول الكريم ﷺ ممّا يعانيه من اليهود ومن نقضهم الميثاق والعقود وتآمرهم مع مشركي قريش ومشركي العرب في ذلك الوقت. هذه الآيات ستأتي في سورٍ أخرى وبشكلٍ أوضحٍ ومفصّلٍ، وعندها سنفصّلها إن شاء الله تعالى.

طلبوا أن ينزّل عليهم الله ﷻ المنّ والسّلوى، وجاوز بهم البحر، وطلبوا أن يروا الله ﷻ جهرةً، ورفع فوقهم الطّور، أمرهم أن يدخلوا الباب سجّداً، وقال لهم: ﴿لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾.. هذه الأوامر من الله ﷻ نقضوها كلّها ولم يستجيبوا لأمره جلّ وعلا.

(الآية ١٥٥) - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾:

يتحدّث المولى ﷻ عن اليهود، شعب بني إسرائيل، وعن نقضهم للمواثيق والعقود والعهود الّتي قطعوها على أنفسهم في المدينة المنوّرة، وكان ذلك تذكيراً بأجدادهم وبماضيهم المخزي مع شيخ الأنبياء موسى عليه السلام بكثرة طلباتهم وجحودهم وكفرهم وارتدادهم مع ما أنزل الله ﷻ على موسى عليه السّلام.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾: في اللّغة العربيّة (ما) حرفٌ زائدٌ، ولكن لا يجوز قراءة كتاب الله ﷻ كأيّ كتابٍ آخرٍ بأن نقول: (ما) حرفٌ زائدٌ هنا، فالله ﷻ لا يوجد في كلامه ما هو زائدٌ أو يُستغنى عنه.

فبنقضهم ميثاقهم، قد نظنّ أنّه يمكن الاستغناء عنها هنا؛ لأنّنا لا نعرف، فقد لعنّاهم لكثرة نقضهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ (ما) جاءت قبل الباء لتؤكّد كثرة نقضهم لعهود الله ﷻ، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾، نقضوا المواثيق والعهود، أمّا لو قلت: فبنقضهم ميثاقهم لكان النّقض فقط مرّةً واحدةً، وهذا من دقّة الأداء والعطاء القرآنيّ.

﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: كفروا بآيات الله ﷻ الّتي أنزلها عليهم عند رؤيتهم انفلاق البحر، وغرق فرعون وجنوده، ورؤيتهم للطّريق أصبح ممهّداً أمامهم، ونزول المنّ والسّلوى عليهم، ومع كلّ هذا العطاء من الله ﷻ كفروا بآياته ﷻ وجحدوا بكلّ ما أعطاهم من دلائلَ وأسبابٍ وإثباتاتٍ على وجوده وعلى ضرورة طلب الإيمان به، وأضافوا إلى ذلك قتلهم الأنبياء عليهم السلام كيحيى وزكريّا وغيرهما، وكانوا: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: من الآية ٧٠].

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: أي قلوبنا مغلّفةٌ في داخلها الإشراك والكفر، فلا يدخلها الإيمان، فيقول ﷻ: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، فالله ﷻ يبيّن الطّريق، فمن اختار طريق الإشراك والعصيان يأتيه الطّبع على القلب، ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم.

(الآية ١٥٦) – ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾:

البهتان: هو الكذب الكبير، والله ﷻ يقول عن الكذب الواضح: إنّه

عظيمٌ، فقد افتروا على السّيّدة مريم العذراء عندما اتّهموها بشرفها وتعرّضوا لها، وكفروا وقالوا من الأقوال ما لا يستطيع المرء أن يكرّره أو يتقبّله، فالسّيّدة مريم كان لها ماضٍ وتاريخٌ فاضلٌ، حيث تربّت بالمحراب قبل أن تحمل بالسّيّد المسيح عليه السلام، ورد في سورة (آل عمران) قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾ [آل عمران]، فمنذ كانت طفلةً وهي تذكر الله سبحانه وتعالى في المحراب، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾ [آل عمران]، مريم الطّفلة العظيمة الفاضلة أوحت لنبيٍّ من الأنبياء بأمرٍ مهمٍّ، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى يرزق من غير حسابٍ، أي من غير أسبابٍ، وهو كان حالُه كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ [مريم]، فقد تمّ الإيحاء من هذه الطّفلة العظيمة مريم، ومع تاريخها النّاصع والفاضل اتّهمها اليهود في شرفها وقالوا عليها هذا البهتان العظيم.

﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ﴾: لأنّ مَن يقول هذا الكلام على مريم فقد كفر بالله تبارك وتعالى.

(الآية ١٥٧) - ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾:

الواو هنا واو العطف، أي وبكفرهم وبقولهم، يعطف الأمر على أقوال اليهود: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾، يردّ المولى ﷻ على اليهود بما قالوه وبما ادّعوه من قتلهم وصلبهم للسّيّد المسيح عليه السلام، وليس مجالنا هنا أن نحاجج أحداً، ولا أن نتعدّى على عقائد أحدٍ، ولكن نريد أن يتّضح منطق الإيمان، ما نؤمن به ونعتقد به هو تكريمٌ وتعظيمٌ للسّيّد المسيح، فالمسيح عليه السلام لم يُصلَب، وليست القضيّة هنا قضيّة نقاشٍ ومحاججةٍ مع العقائد الأخرى، لكن لنبيّن لهم بأنّ عقيدتنا تقول: ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فاعتقدوا أنّهم قتلوه أو صلبوه، ولكنّ الله ﷻ رفعه إلى السّماء، وهذا تكريمٌ من العقيدة الإسلاميّة ونظرٌ عظيمٌ لمكانة السّيّد المسيح عليه السلام، وقد قال ﷻ عنه: ﴿*فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم]، حملته بالأمر الإلهيّ ﴿كُن﴾، قال ﷻ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران]، حملته من دون أبٍ، من دون رجلٍ، ومن المعلوم أنّ الولد يأتي من تزاوج الذّكر والأنثى، لكن هنا قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، خلق آدم عليه السلام من ترابٍ من دون أبٍ وأمٍّ، فليس عسيراً على الله ﷻ أن يخلق من أمٍّ من دون أبٍ.

ولا بدّ من البيان للنّاس جميعاً بأنّ قولنا هذا ليس مدعاةً للخلاف والنّزاع، ويجب أن يعتاد النّاس على أنّ الخلاف لا يفسد للودّ قضيّة، قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون]. لا نأخذ الجزئيّات الدّينيّة أوّلاً، نحن نؤمن أوّلاً بالله ﷻ منزّل هذه الجزئيّات ونصدّق بعد ذلك ما يقوله تبارك وتعالى، فالأصل في التّديّن هو الإيمان بالله ﷻ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: عندهم شكٌّ في الأمر؛ لأنّه شبّه لهم.

﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: انتقل الشّكّ إلى الظّنّ ولكنّهم لم يقتلوه عليه السلام. فالمطلوب منّي كمسلمٍ أن أعظّم وأكرّم السّيّد المسيح عليه السلام، فالإيمان به هو إيمانٌ لا يتجزّأ من الإيمان بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله عليهم السلام: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٥].

(الآية ١٥٨) – ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾:

القرآن الكريم لم يقل: إنّ السّيّد المسيح عليه السلام قد مات، قد يقول قائلٌ: كيف يحصل هذا؟ هناك ضجّةٌ في ميلاده فمن الطّبيعيّ أن تكون هناك ضجّةٌ فيما يتعلّق بوفاته، ضجّةٌ في ميلاده حيث كانت ولادته بمعجزةٍ، وارتفع بمعجزةٍ، ارتفع بـ: ﴿كُن﴾ كما وُلِد بـ: ﴿كُن﴾، بالنّسبة للمسلمين هذه عقيدةٌ، فكلّنا يعلم أنّ القرآن الكريم ينصّ على أنّ السّيّد المسيح عليه السلام رُفع إلى السّماء، وهذا تكريمٌ له، ونحن نعيش مع الإخوة النّصارى كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، لكن المهمّ هل يوجد انتقاصٌ من قدر السّيّد المسيح عليه السلام أو أنّه تعظيمٌ وتكريمٌ وتشريفٌ له بأنّ الله سبحانه وتعالى أثبت غير ما قاله اليهود بافترائهم على السّيّدة مريم وقولهم بهتاناً عظيماً؟ لقد أثبت منذ أن كانت مريم طفلةً كيف كانت قدّيسةً في المحراب، وأثبت أنّها ولدت من دون زوجٍ، فجبريل عليه السلام نفخ فيها من روح الله سبحانه وتعالى فكان الميلاد العظيم المعجزة للسّيّد المسيح عليه السلام، فنحن آمنّا بالله سبحانه وتعالى وبالقرآن الكريم وبكلّ ما جاء به، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النّساء: من الآية ١٢٢]، فعقيدة المسلم بالنّسبة للسّيّد المسيح عليه السلام واضحةٌ ولا نخفيها على أحدٍ، وموجودةٌ في القرآن الكريم، والجميع يقدّر ويحترم ما نزل في كتاب الله سبحانه وتعالى.

(الآية ١٥٩) – ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾:

(إن) هنا النّافية وليست النّاهية، ما من أحدٍ من أهل الكتاب إلّا

سيؤمن به قبل موته ويكون عليه شهيداً يوم القيامة، فهو سيعود وسينزل وهذا ما وعد به الرّسول ﷺ في كثيرٍ من الأحاديث الصّحيحة، وأنّه سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، يقول ﷺ: «**لا تقوم السّاعة حتّى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً**»(١)، وهناك الكثير من الرّوايات الّتي تذكر أنّه سينزل جانب مئذنة المسيح عليه السلام في الجامع الأمويّ الكبير في دمشق، قال ﷺ: «**... إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفّيه على أجنحة ملكين ...**»(٢).

(الآية ١٦٠) – ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾:

الحديث هنا أنّ الّذي افترى وكذّب وكفر بالسّيّد المسيح عليه السلام هم اليهود، والّذي آذى السّيّدة مريم بأقواله وأفعاله هم اليهود، فاليهود إلى هذه اللّحظة هم مصدر الشّرور في العالم بما يفعلونه بالمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وبقتلهم للفلسطينيّ المسلم والنّصرانيّ، واستهدافهم الإسلام والنّصرانيّة؛ لأنّهم يؤمنون بأنّهم شعب الله المختار، وكلّ ما سواهم ودونهم ليسوا بمرتبتهم عند الله ﷻ، هذه النّظرة الفوقيّة العنصريّة الصّهيونيّة اليهوديّة الخرافيّة هي الّتي جعلتهم عبر عصورهم وتاريخهم في كلّ شعبٍ وفي كلّ أمّةٍ وفي كلّ أرضٍ وَطَؤوها أو وُجِدوا فيها كالجراثيم تتسلّل إلى أجساد هذه

(١) صحيح البخاريّ: كتاب المظالم، باب ٣٢، الحديث رقم (٢٣٤٤).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط السّاعة، باب ٢٠، الحديث رقم (٢٩٣٧).

الشّعوب، وقال ﷻ عنهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة]، وبيّن القرآن الكريم في سورة (مريم) كيف واجههم السّيّد المسيح عليه السلام وهو في المهد، ﴿* فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ [مريم]، وفي قراءةٍ أخرى (مَن تحتَها) أي أنّ السّيّد المسيح عليه السلام من أوّل ولادته نادى السّيّدة العذراء تسليةً لقلبها: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ [مريم]، كلّ هذا الكلام كان من أوّل ولادة السّيّد المسيح معجزةً من السّماء، وهو يتحدّث ويسلي قلب أمّه، ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ [مريم]، لم يخطر ببالهم أبداً أنّه هو الّذي سيتكلّم، اعتقدوا عند إشارة السّيّدة مريم إلى السّيّد المسيح عليه السلام كأنّها تقول: كلّموا الطّفل، فقالوا: كيف نكلّم؟! ولم يقولوا: كيف يتكلّم؟! فأجابهم السّيّد المسيح عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ

﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤﴾ [مريم]، أيّ تكريمٍ في قرآننا وإسلامنا؟! ثمّ يأتي من يقول: إنّ الإسلام يرفض الآخر ويبثّ الكراهيّة نحوه، ويسبب إشكالات في العلاقة الإسلاميّة النّصرانيّة، هذه العلاقة صانها القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾ [المائدة]، مودّةً أي وداد وحبّ القلب.

﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: هم اليهود؛ لأنّهم قالوا: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٦].

﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾: في القواعد الفقهيّة الأصل في الأشياء الإباحة إلّا ما ورد فيه نصٌّ، ودائماً المحرّم قليلٌ والحلال كثيرٌ جدّاً، مثلاً الطّعام كلّه حلالٌ عدا الميتة ولحم الخنزير، المشروبات كلّها حلالٌ كالماء والعصير و... عدا الخمر بكلّ أنواعه، المحرّم جزءٌ واحدٌ والباقي حلالٌ، الحلال أن تتزوّج والحرام أن تزني، فمصارف الحلال كثيرةٌ جدّاً، وعندما يحرّم الله ﷻ يحرّم لأسبابٍ، لكن اليهود تحديداً حرّم عليهم تأديباً لهم لظلمهم، فهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وبقتلهم الأنبياء عليهم السلام.

﴿طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾: كانت هذه الطّيّبات حلالاً لهم ولكن حُرّمت عليهم من جرّاء ظلمهم وكفرهم بآيات الله ﷻ.

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: في كلّ وقت منذ عهد السّيّد المسيح عليه السّلام صدّوا عنه وكذلك في عهد زكريّا عليه السلام وسيّدنا محمّد ﷺ، ولم يكتفوا بالصّدّ عن سبيل الله سبحانه وتعالى، بل ارتكبوا المحرّمات والموبقات.

(الآية ١٦١) - ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٦١﴾:

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾: الرّبا حرامٌ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٥]، لماذا؟ لأنّ الرّبا ما يحصل عليه الإنسان من جرّاء استغلاله لحاجة غيره، وقد حرّم الله سبحانه وتعالى الرّبا على اليهود ومع ذلك يتعاملون به.

﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ﴾: إمّا عن طريق السّرقة أو عن طريق الرّشوة والغش، كلّ هذه الطّرق في الاحتيال لأكل الأموال كان اليهود يستخدمونها، فحُرّمت عليهم طيّباتٌ كانت قد أُحلّت لهم.

فالله سبحانه وتعالى حلّل لهم الطّيّبات، لكن بظلمهم وأكلهم الرّبا وأموال النّاس بالباطل حرّم عليهم هذه الطّيّبات الّتي أُحلّت لهم.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: بالإضافة لتحريم طيّباتٍ أُحلّت لهم أعدّ الله سبحانه وتعالى لهم في اليوم الآخر عذاباً أليماً في جهنّم وبئس المصير.

(الآية ١٦٢) - ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾:

هنا قانون صيانة الاحتمال، أي ليس كلّ الّذين هادوا، فهناك من آمن منهم كعبد الله بن سلام ﷺ وغيره، ولكن لنلاحظ ملاحظةً مهمّةً في كتاب الله ﷻ، بأن الإعراب قد كُسر في هذه الآية، ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ فقوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ عُطف عليها، ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾، فبحسب الإعراب يجب أن تكون: (والمقيمون الصّلاة) بالواو والنّون وليس بالياء والنّون، لأنّها فاعل والفاعل يُرفع بالواو والنّون، ويُنصب ويُكسر بالياء والنّون، والقرآن الكريم فيه تحدٍّ بلاغيّ لمشركي العرب في ذلك الوقت الّذين كانوا أساطين اللّغة وأرباب الشّعر، فأيّ كسرٍ في الإعراب تتحرّك له الآذان مباشرةً، لماذا هنا فيه كسرٌ في الإعراب ولم يقل أحدٌ منهم وهم أساطين اللّغة: لماذا كُسر الإعراب؟! لأنّهم فهموا معنى الكسر في الإعراب، هنا بدل قوله: (والمقيمون الصّلاة) قال: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾:

أ- أوّلاً حرّك الآذان إلى أمرٍ خصوصيّ مهمٍّ وهو الصّلاة.

ب- ثانيّاً هنا النّصب على الاختصاص، بمعنى وأخصّ الصّلاة، يخصّها لأنّها عمود الدّين، مَن أقامها فقد أقام الدّين؛ ولأنّ فيها كلّ أركان الإسلام؛ ففيها الحجّ بالاتّجاه إلى الكعبة، وفيها الصّوم عن الكلام غير الكلام في كتاب الله ﷻ، وعن الطّعام والشّراب، وفيها الزّكاة؛ لأنّ أصل الزّكاة هو العمل، وأصل العمل الوقت، والصّلاة فيها اقتطاع جزءٍ من الوقت، وفيها الشّهادتان.

ثمّ تابع: ﴿وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ واو العطف،

كلّها جاءت هنا كفاعل: المؤتون، المؤمنون، إلّا الصّلاة، قال:المقيمين؛ لأنّ الله ﷻ خصّها فهي عماد الدّين.

(الآية ١٦٣) - ﴿*إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾:

﴿إِنَّآ﴾: تأتي في القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ﴾ و﴿إِنَّنِيٓ﴾ و﴿نَحۡنُ﴾، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر]، نون العظمة وجمع كلّ الصّفات، لا يقول: ﴿إِنَّنِيٓ﴾ إلّا في التّوحيد: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه].

﴿*إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ﴾: المعنى اللّغوي للوحي هو إعلامٌ بخفاءٍ، أمّا المعنى الاصطلاحيّ: إعلامٌ بخفاءٍ من قبل الملائكة، والله ﷻ يوحي لمن يشاء، فيوحي إلى الرّسل عن طريق جبريل عليه السلام، ويوحي إلى الجماد وإلى الأرض.. عن طريق الملائكة: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣﴾ [الزّلزلة]، إعلامٌ بخفاءٍ، أيضاً بالنّسبة للنّحل: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨﴾ [النّحل]، ويجب أن نفرّق بين المعاني الشّرعيّة والمعاني اللّغويّة، فالمعنى الشّرعيّ شيءٌ والمعنى اللّغويّ شيءٌ آخر، مثال عند قولنا: الصّلاة، ففي المعنى اللّغويّ الدّعاء، وفي المعنى الشّرعيّ هي الصّلاة بأركانها وشروطها الّتي حدّدها المصطفى ﷺ، وبالشّكل الّذي نقيمها فيه.

في أحد المرّات دخل حذيفة ﷺ على سيّدنا عمر ﷺ، فقال له سيّدنا عمر: "يا حذيفة كيف أصبحت؟"، فقال حُذيفة: "أصبحت أحبّ الفتنة، وأكره الحقّ، وأصلّي من دون وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السّماء"، فتعجّب سيّدنا عمر من هذا القول، -هذا لغةً- فدخل الإمام عليّ كرّم الله وجهه، فقال عمر ﷺ: "يا أبا الحسن، اسمع ما يقول حذيفة" -وكان مُغضباً- فقال الإمام عليّ كرّم الله وجهه: "ماذا تقول يا حذيفة لعمر؟"، فقال: "سألني: كيف أصبحت يا حذيفة؟ فقلت: أحبّ الفتنة وأكره الحقّ وأصلّي من غير وضوء ولي في الأرض ما ليس لله في السّماء"، فضحك سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه فقال: "على رسلك يا أبا حفص على رسلك يا عمر"، فقال له عمر: "ما هذا القول؟"، فقال له: يقول: إنّه يحبّ الفتنة والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التّغابن]، يحبّ ماله وأولاده وهذا أمرٌ طبيعيٌّ، وأمّا قوله: أكره الحقّ، فقال الإمام عليّ: الموت حقٌّ، ومن منّا لا يكره الموت، ويصلّي من غير وضوءٍ، هي الصّلاة على سيّدنا رسول الله ﷺ، (اللّهمّ صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه) وله في الأرض ما ليس لله في السّماء، فله زوجةٌ وله ولدٌ، وليس لله ﷻ زوجةٌ ولا ولدٌ، فضحك سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ، وقال: "أصبت يا أبا الحسن، لقد أزلت ما في قلبي على حذيفة"، هذا الفارق ما بين المعاني اللّغويّة والمعاني الاصطلاحيّة، يأتي بالمعنى اللّغويّ شيءٌ وبالمعنى الشّرعيّ شيءٌ آخر.

﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾: لماذا بدأ بنوحٍ عليه السلام ولم يبدأ بآدم عليه السلام وهو رسولٌ وقد أوحي إليه؟ عندما أهبط الله سبحانه وتعالى آدم وحوّاء إلى الدّنيا: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه]، هناك وحيٌ لسيّدنا آدم عليه السلام ومع ذلك بدأ الله سبحانه وتعالى بنوحٍ عليه السلام، ولم يبدأ بآدم عليه السلام هنا. بدأ بنوحٍ عليه السلام لأنّه طرأ على أمّته، أي كانت الأمّة والنّاس موجودين وجاء نوحٌ طارئاً عليهم، وهم في حالةٍ من الوثنيّة والشّرك والفساد، هو طرأ على أمّته ككلّ الأنبياء عليهم السلام طرأوا على أممهم إلّا آدم عليه السلام فإنّ أمّته طرأت عليه؛ لأنّه أوّل إنسانٍ نزل، وبعده جاء الأولاد و...، هناك فارقٌ بين أن يكون الأمر والوحي لنوحٍ عليه السلام والوحي لآدم عليه السلام؛ لأنّ آدم كان هو المثل الّذي لا مثل غيره في الدّنيا، أمّا نوح فكان النّاس موجودين، القياس هنا قياسٌ مع سيّدنا نوحٍ عليه السلام وليس مع سيّدنا آدم عليه السلام، انظروا لدقّة القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النّساء]، فلو أنّ إنساناً كتبه كان سيبدأ بسيّدنا آدم عليه السلام وليس بنوحٍ عليه السلام، ويُقاس النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالأنبياء الّذين جاؤوا وكان هناك أممٌ مشركةٌ وعلى ضلالٍ، فجاء ليصحّح لهم ولينذرهم وليبشّرهم، أمّا آدم عليه السلام فجاء ولم يكن هناك أناسٌ، فجاء الوحي ليبيّن الطّريق لمن يأتي من بعده، فاختلف الأمر، لذلك القياس يكون على سيّدنا نوح عليه السلام.

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾: لم يحدّد من هم؛ لأنّ هناك أنبياء كُثُر.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ﴾: إسماعيل هو ابن سيّدنا إبراهيم وكذلك إسحاق، وبعد ذلك يعقوب وهو إسرائيل، وهو ابن إسحاق ووالد يوسف، وجدّه إبراهيم، ومن يعقوب جاء الأسباط؛ يوسف وإخوته، وبعد ذلك أتى منهم عيسى وأيّوب ويونس وهارون، لم يذكر موسى، ذكر فقط بعض الأنبياء وهارون أخو موسى، فكلّهم من نسل إبراهيم عليه السلام، فاختصّ بنسل سيّدنا إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ النّبيّ ﷺ هو من نسل إبراهيم عليه السلام.

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: لماذا اختصّ داود عليه السلام ولم يقل: آتينا عيسى الإنجيل، أو هارون التّوراة؟ لأنّ الزّبور هو الوحيد الّذي يشترك فيه كلّ الأنبياء، فلم يكن فيه شريعةٌ للنّاس، وإنّما ذكرٌ لله ﷻ وهذا يتّفق مع كلّ الرّسالات السّماويّة من دون استثناء، لو انتبهنا إلى قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، نجد ترنيمة داود وبشارة عيسى ودعوة إبراهيم فكان داود دائماً عندما يذكر الله ﷻ يذكر محمّداً ﷺ لذلك أتت هنا الزّبور في نهاية الآية.

(الآية ١٦٤) - ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾:

انظر لعظمة القرآن الكريم، أتى بمعظم نسل سيّدنا إبراهيم عليه السلام، فهو لم يذكر زكريّا عليه السلام، وقال: هارون، ولم يقل: موسى، ممّا يثير تساؤلاً،

فهارون أتى على رسالة موسى عليه السلام الّذي طلب من الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ [طه]، يستغرب الإنسان كيف يُذكر هارون ولا يُذكر موسى، لكن لو تابعنا الآية الّتي تليها علمنا السّبب.

﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾: أي ذكرناهم لك مثل زكريّا لكن الآن لم نذكر اسمهم.

﴿وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾: فهناك الكثير من الرّسل والأنبياء عليهم السلام لم يأت الله سبحانه وتعالى على ذكرهم في القرآن الكريم.

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾: سيّدنا موسى عليه السلام تمّ الوحي إليه بطريقين:

- الأوّل: الإعلام بخفاءٍ عن طريق الملائكة.
- والطّريق الثّاني الّذي اختصّه الله سبحانه وتعالى وهو أنّه كلّمه تكليماً.

بقيّة الأنبياء عليهم السلام لم يكلّمهم الله سبحانه وتعالى، ففي سورة (طه): ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ قَالَ هِيَ

عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ
ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه]، الوحي هنا تكليمٌ، وعندما نتحدّث عن الله ﷻ لا نضع صفاته الّتي يشترك فيها النّاس، مثال: الله ﷻ قويٌّ وأنت قويٌّ، لا تقل: قوّتي كقوّة الله ﷻ، أنت حيٌّ والله ﷻ حيٌّ لا يموت، أمّا أنت فتموت، فلا تقل: إنّني حيٌّ كالله ﷻ، لا تقل: إنّني عزيزٌ كالله ﷻ، لا يجوز التّشبيه أبداً، دائماً نضع مع الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، فسبحان الله عن أن يكون له شريكٌ أو ندٌّ أو أيّ مثيلٍ وشبيهٍ في أقواله وصفاته وأفعاله، فمثلاً: إن أعدّ مختار القرية مائدةً للنّاس، أو أعدّها محافظ المدينة، أو الوزير فستنسب المائدة إلى الشّخص الّذي أعدّها فهذا محافظٌ وهذا وزيرٌ... وستختلف باختلاف معدِّها، فكيف إن كنت تتحدّث عن الله ﷻ الّذي يجمع صفات الكمال والجمال والتي لا حدود لها؟! فدائماً نزّه الله ﷻ عن التّشبيه، فعندما تكلَّمَ الله ﷻ كيف تكلَّم؟ هل تكلَّم باللّغة؟ نحن نتكلّم من خلال اللّسان ومن خلال الصّوت، فهل تكلّم من خلال الصّوت؟ فنقول: سبحان الله.

(الآية ١٦٥) - ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ
حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾:

وظيفة الرّسل تبشير النّاس بالثّواب وإنذارهم بالعقاب، وبيان الطّريق لهم، هذا هو واجبهم، وهو الأساس في رسالات المرسلين والأنبياء عليهم السلام.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾: فلا تحريم إلّا بالنّصّ.

(الآية ١٦٦) – ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾:

لأنّ اليهود كانوا يحاجّون النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فالله سبحانه وتعالى لم يقل: فقط أوحينا إليك وأوحينا إلى النّبيين وذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط... إلخ، لكنّه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: الله سبحانه وتعالى يشهد بما أنزل إليك، فقد أنزل إليك القرآن الكريم وحياً من عنده سبحانه وتعالى عن طريق جبريل عليه السلام.

﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾: بأمره؛ أي القرآن الكريم وهو كلام الله سبحانه وتعالى وصفةٌ من صفاته جلّ وعلا.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾: إيّاك أن تعتقد أنّ هناك استدراكاً على الله تبارك وتعالى أي إن لم تصدّق أنّ الله سبحانه وتعالى يشهد فالملائكة تشهد، لا، هذه ليست كما للبشر.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: بيّن لك أنّه يكفي به بلا شكٍّ شهيداً، لكن الملائكة يشهدون بأنّهم هم طريقٌ لإنزال الوحي على قلب الرّسل عليهم السلام.

(الآية ١٦٧) – ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي ستروا وجود الله ﷻ، كما قلنا: الكافر في التّعريف اللّغويّ والاصطلاحيّ الشّرعيّ؛ هو الإنسان الّذي ستر وجود الله ﷻ أي لا يؤمن بوجود إلهٍ خالقٍ للبشر والكون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: لهم مشكلتان:

- الأولى: بأنّهم ستروا وجود الله ﷻ.
- الثّانية: أضلّوا غيرهم بأنّهم صدّوا عن سبيل الله ﷻ.

﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: لأنّ البعد بينهم وبين المصدر بُعدٌ زمنيٌّ، مسافةٌ طويلةٌ، فالضّلال يصل للأبناء والأحفاد والأجيال الآتية، لذلك قد ضلّوا ضلالاً بعيداً، فهم لم يكتفوا بأنّهم كفروا وستروا وجود الله ﷻ، بل أيضاً أضلّوا غيرهم ومنعوا النّاس عن السّير في سبيل الله ﷻ.

(الآية ١٦٨) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾:

لا تقل: الله ﷻ لم يهدني ولم يعطني الطّريق ولا يغفر لي، فالّذين ستروا وجود الله ﷻ وظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم بكفرهم منع الله ﷻ الهداية عنهم ولم يعنهم عليها.

(الآية ١٦٩) - ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾:

إلّا طريقاً واحداً هم الّذين اختاروه وليس الله ﷻ الّذي أخذهم إليه، اختاروه بكفرهم وبظلمهم، والله ﷻ عندما يتحدّث عن الظّلم يقول في

الحديث القدسيّ: «**يا عبادي إنّي حرمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا**»[1]، والنّبيّ ﷺ قال: «**ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السّماء، ويقول الرّبّ ﷻ: وعزّتي لأنصرنّك ولو بعد حين**»[2]، قضيّة الظّلم هي قضيّةٌ كبيرةٌ جدّاً، والظّلم يعني إبعاد الإنسان عن حقّه.

(الآية ١٧٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ﴾: قد جاءكم محمّدٌ ﷺ بالإسلام الّذي ارتضاه الله ﷻ لعباده ديناً.

﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾: فصدِّقوه، وصدّقوا بما جاءكم به من عند ربّكم من الدّين، فإنّ الإيمان بذلك خيرٌ لكم من الكفر به.

﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: وإن تجحدوا رسالتَه وتكذّبوا بما جاءكم به من عند ربكم، فإنّ جحودكم ذلك وتكذيبكم به، لن يضرَّ غيركم، ومكروهُ ذلك عائدٌ عليكم، وذلك أنّ لله ﷻ ما في السّماوات والأرض، ملكاً وخلقاً، لا ينقص كفركم بما كفرتم به من أمره، وعصيانكم إيّاه فيما عصيتموه فيه من ملكه وسلطانه شيئاً.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآدب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

(٢) سنن التّرمذيّ: كتاب صفة الجنّة، باب صفة الجنّة ونعيمها، الحديث رقم (٢٥٢٦).

(الآية ١٧١) - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾:

الغلوّ: هو الخروج عن حدّ الاعتدال بالحكم، ودين الإسلام دين وسطيّةٍ يرفض الغلو والتّشدّد في الأحكام، والوسطيّة هي الاعتدال وليست الوقوف في الوسط بين الحقّ والباطل، الوسطيّة هي اليسر في الأحكام والاعتدال فيها وعدم الغلوّ، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**هلك المتنطّعون**»، قالها ثلاثاً[1].

هنا تكريمٌ للمسيح عليه السلام، ففي عقيدتنا نقول: إنّه رسولٌ من الله ﷻ وكلمته الّتي ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وقد بيّن الله ﷻ مكانة المسيح عليه السلام بمعجزةٍ، وهي ولادته من غير أبٍ فقال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران]، خلق الله ﷻ آدم عليه السلام من عدم، قال ﷻ: ﴿۞مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف]، نحن لم نشهد الخلق الأوّل خلْق آدم عليه السلام الّذي خُلِق من دون أبٍ وأمٍّ، خلقه الله ﷻ من ترابٍ كما

(١) صحيح مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطّعون، الحديث رقم (٢٦٧٠)، المتنطّعون: أي المتعمّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

جاء في آياتٍ متعدّدةٍ في القرآن الكريم، لذلك عندما تحدّث ﷻ عن النّبيّ عيسى عليه السلام وضربَ المثل ضربه بآدم عليه السلام. نحن لم نشهد ذلك، لكن عندما جاء العلم شهدنا نقض عمليّة الحياة بالموت، فعند موت الإنسان تكون النّهاية عكس البدايات، أوّلاً تخرج منه الرّوح ومن ثمّ يتصلّب جسمه ويصبح صلصالاً، وبعدها يصبح كالطّين ثمّ يتحلّل إلى التّراب، والله ﷻ يقول: ﴿*مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه]، أي خلقناكم من تراب الأرض، ويقول جلّ وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: من الآية ٣٠]، ومع تقدّم العلم وجدوا أنّ ستّين بالمئة من جسم الإنسان ماء، فنسبة الماء في الدّم ثمانون بالمئة منه، وكذلك في العضلات، أمّا في العظام فنسبته عشرون بالمئة، وفي الدّماغ خمسٌ وثمانون بالمئة، وثبت علميّاً أيضاً أنّ مركّبات الأرض الّتي منها خُلقنا هي ذات مركّبات الإنسان؛ أوكسجين وكربون وهيدروجين وكلور وكبريت وكالسيوم وفوسفور وبوتاسيوم وصوديوم وحديد ويود ومنغنيز.. المهمّ بأنّ الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، هناك نفخٌ من روح الله ﷻ وهناك كلمة ﴿كُن﴾، عندما جاء سيّدنا جبريل عليه السلام إلى السّيّدة مريم عليها السّلام قالت: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم]، أمراً مقضيّاً بكلمة: ﴿كُن﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: الكلمة التي أُلقيت هي: ﴿كُن﴾، فكان بقدرة الله ﷻ، والرّوح هو النّفخ الّذي جاء به جبريل عليه السلام.

(الآية ١٧٢) - ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾:

الحديث هنا عن العبوديّة لله ﷻ، ويفتخر السّيّد المسيح والملائكة والرّسل والخلق جميعاً بنسبتهم إلى العبوديّة لله ﷻ.

العبوديّة لله ﷻ على عكس العبوديّة للبشر، الّتي هي مذمومةٌ لدينا، فالله ﷻ عندما يريد تكريم خلقٍ من خلقه ينسب العبوديّة إليه؛ لأنّ العبودية لله ﷻ عطاءٌ، فالله ﷻ عزيزٌ مستغنٍ عن عبادة خلقه، وفي الحديث القدسيّ: «**يا عبادي، إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك ممّا عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر، يا عبادي، إنّما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثمّ أوفيكم إيّاها، فمن وجد**

خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه»[1]، العبوديّة لله ﷻ عِزٌّ، فعندما أراد الله ﷻ أن يكرّم النّبيّ محمّداً ﷺ أكمل له صفة العبوديّة فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء]، لم يقل: سبحان الّذي أسرى برسوله، ولا سبحان الّذي أسرى بنبيّه، ولا سبحان الّذي أسرى بمحمّدٍ، وإنّما قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾؛ لأنّ العبوديّة لله ﷻ هي عطاءٌ تامٌّ منه ﷻ:

حسبُ نفسي عزّاً بأنّي عبدٌ يحتفي بي بلا مواعيد ربُّ
هو في قدسه الأعزّ ولكن أنا ألقاه متى وأين أحبُّ

﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾: لا يمكن لأحدٍ أن يتأبّى على الحشر يوم القيامة، يوم يجمع الله ﷻ الخلائق في ذلك اليوم الموعود، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشّعراء]، عندما يتحدّث المولى ﷻ عن نبيٍّ من أنبيائه، أو عن رسولٍ من رسله، كما قال ﷻ عن النّبيّ ﷺ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾، يصفه بصفة العبوديّة، فتمام العبوديّة لله ﷻ هي أرقى وأعلى منزلةً عنده ﷻ، وأكثر النّاس على الإطلاق عطاءً من الله ﷻ مَن أتمّ هذه الصّفة، وكما قلنا: الفعل دائماً يُنسب إلى الفاعل، فلا يمكن أن أنسب الفعل إلى الله ﷻ وأقيس على فعل البشر فهذا قياسٌ فاسدٌ لا يستقيم.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

(الآية ١٧٣) - ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾:

والضّدُّ يُظهِر حُسنَه الضّدُّ، الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات وبالمقابل الّذين كفروا واستكبروا.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: الأجر على قدر العمل، لكنّه ﷻ يزيدهم من فضله، والفضل فوق العدل، قال النّبيّ ﷺ: «**لا يدخل أحدكم الجنّة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله منه برحمة وفضل**»[(١)]، رحمة الله ﷻ هي فضلٌ فوق العدل، فالعدل عن العمل والفضل من رحمة الله تبارك وتعالى. والإيمان يحتاج إلى ترجمة، أي إلى عملٍ صالحٍ، فالإيمان دون عملٍ صالحٍ لا يُعدّ إيماناً، قال النّبيّ ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق**»[(٢)]، حتّى إماطة الأذى عن الطّريق هي شعبةٌ من شعب الإيمان، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «**تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ**

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (٧٤٧٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

(٣) سنن التّرمذيّ: كتاب البرّ والصّلة، باب صنائع المعروف، الحديث رقم (١٩٥٦).

لنفسه»[1]، وقال ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم به»[2]، فعناصرُ الإيمان كثيرةٌ كما بيّن المصطفى ﷺ، وكلّها من خلال الأعمال الصّالحة، فلا إيمان بالقلب من دون أن يصدّقه العمل.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: لأنّ عدم العبادة لله ﷻ هي استكبار.

﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: في ذلك اليوم لن تجد من نصيرٍ ولا وليٍّ لك، في ذلك اليوم الموعود ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس]، فالإنسان في ذلك الموقف المهيب ليس له وليٌّ ولا نصيرٌ من دون الله تبارك وتعالى.

عندما تحدّث الله ﷻ عن اليهود وما فعلوه مع النّبيّ ﷺ وما فعلوه أيضاً مع السّيّد المسيح عليه السلام ومع السّيّدة مريم، وما يفعلونه اليوم من تدنيس القدس والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة، فهم عبر تاريخهم الطّويل كالجراثيم الممرضة للبشريّة، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة]، يعتقدون أنّ بإمكانهم تزوير التّاريخ والوقائع والحقائق وتجاوز الرّسالات

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، الحديث رقم (١٣).

(٢) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الألف، أنس بن مالك الأنصاريّ، الحديث رقم (٧٥١).

السّماويّة من خلال إعلانهم القدس عاصمةً لهم، ونحن نؤمن بوعد الله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧﴾ [الإسراء: من الآية ٧].

(الآية ١٧٤) – ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝١٧٤﴾:

الخطاب الآن للبشريّة جمعاء، الرّسالات السّماويّة السّابقة كانت تأتي لمناطق وأقوامٍ منفصلةٍ، حيث لا يوجد طرق اتّصالٍ ولا مواصلاتٍ، فلا يعلم قومٌ عن قومٍ شيئاً، ينزل نبيٌّ هنا ونبيٌّ هناك، والأدواء متعدِّدةٌ لذلك كان الرّسل عليهم السلام يأتون بعلاجاتٍ متعدّدةٍ للأقوام حتّى أنزل الله ﷻ رسالة الإسلام على النّبيّ محمّدٍ ﷺ للنّاس جميعاً؛ لأنّ البشريّة قد اكتمل رُشدها، وبدأت بالتّطوّر العلميّ، فأصبح العالم كلّه كبقعةٍ واحدةٍ، وطرق المواصلات مؤمّنةٌ بينه، فكان الخطاب موجّهاً للنّاس جميعاً، وكأنّ الإسلام سبق العالم.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾: البرهان هو الإعجاز الدّالّ على صدق المبلّغ عن الله ﷻ، فكلّ نبيٍّ جاء معه إعجازٌ دالٌّ على صدق بلاغه عن الله ﷻ، مثال: نوح عليه السلام كانت السّفينة هي المعجزة الّتي أنجت من ركب فيها وغرق كلّ من لم يركب فيها، صالح عليه السلام كانت معجزته النّاقة، إبراهيم عليه السلام لم تحرقه النّيران عندما أُلقِي فيها؛ لأنّ الله ﷻ أفقدها خاصّيتها، موسى عليه السلام من معجزاته العصا حيث كان يضرب بها الحجر فينفجر، وضرب بها البحر فانفلق، ليست القضيّة قضيّة عصى وإنّما هي قضيّة معجزةٍ، وهذا معنى

برهان، فالبرهان: هو الإعجاز الدّينيّ الدّالّ على صدق الرّسل في بلاغهم عن الله ﷻ، فدائماً يأتي رسولٌ ومعه معجزةٌ مؤيّدةٌ لرسالته، المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله ﷻ ويبرئ الأكمه والأبرص ويشفي المرضى، سيّدنا داود عليه السلام: ﴿*وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ]، فكلّ نبيٍّ يأتي معه إعجازٌ وبرهانٌ بأنّه مبلّغٌ عن الله ﷻ، ويأتي معه منهجٌ، الإنجيل مع عيسى عليه السلام والتّوراة مع موسى عليه السلام والصّحف مع إبراهيم عليه السلام، والزّبور مع داود عليه السلام، هذه المعجزات كانت تنتهي عند موت النّبيّ الّذي كان موجوداً في ذلك الزّمن، أمّا الرّسول ﷺ الخاتم القائل: «**لا نبيّ بعدي**»[1]، فالمعجزة يجب أن تبقى حتّى ولو مات، فجاء ﷺ بمعجزةٍ دائمةٍ وهي القرآن الكريم.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾: النّور هو الّذي يُظهر الطّريق للسّالكين، فبالظّلمة لا نرى الطّريق، ونجد في القرآن الكريم الإعجاز والدّليل والبرهان، وهو خالدٌ بخلود الدّهر، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر].

(الآية ١٧٥) - ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾:

أي الّذين آمنوا وتمسّكوا واستمسكوا بهذا القرآن الكريم، بهذا النّور، بهذه الهداية، سيدخلون برحمات الله ﷻ وعطائه وفضله ﷻ، وسيزيدهم في

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، الحديث رقم (٣٢٦٨).

الهداية، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمّد].

﴿وَيَهۡدِيَهُمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾: ويهديهم الصّراط المستقيم، هذا الصّراط الّذي يؤدّي إلى الجنّة بإذن الله تبارك وتعالى.

(الآية ١٧٦) – ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾:

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾: هي إرادة معرفة حكمٍ شرعيٍّ، وقد ورد في القرآن الكريم بطريقين: ١– يستفتونك كهذه الآية، أي يسألون عن حكمٍ شرعيٍّ.

٢– وتأتي: يسألونك، وهي إمّا أن تأتي لمعرفة حكمٍ شرعيٍّ أو غير حكمٍ شرعيٍّ، كقوله ﷻ: ﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٩]، سألوه: ما بال الهلال يا محمّد يبدو صغيراً ثمّ يكبر ثمّ يعود صغيراً؟ فهذا ليس حكماً شرعيّاً.

لكن عندما يأتي السّؤال ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ فهي إرادة معرفة حكمٍ شرعيٍّ، لذلك عندما يعطي الإنسان فتوى فإنّه يعطيها نيابةً عمّا جاء من أحكامٍ شرعيّةٍ، وليس هو من يعطي الحكم، وإنّما يبيّن الحكم الشّرعيّ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾: أي يعطيكم العلم بالحكم الشرعيّ في الكلالة. والكلالة تعني من ليس له أبٌ –أي متوفّى– ولا ولدٌ، فجاءت كلمة الكلالة من الإكليل المحيط بالرأس، أي الأقارب المحيطين، فمن ليس

له أصلٌ (أبٌ) ولا فرعٌ (ابنٌ)، فما هو الحكم بالنّسبة للمواريث إن كان له أقرباء؟

﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾: أي مات، وليس له والدٌ ولا ولدٌ وله أختٌ فلها نصف ما ترك.

﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ﴾: الأخ يرث أخته إن لم يكن لها ولدٌ.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾: كانتا أختين فلهما الثّلثان ممّا ترك.

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾: يقسّم للذّكر مثل حظّ الأنثيين. وقد ذكرت في بداية سورة (النّساء) بأنّهم يقفون عند هذا النّصّ، ويقولون: الإسلام فرّق بين الذّكر والأنثى، ونحن نقول: هناك أكثر من ثلاثين حُكماً شرعيّاً بالنّسبة لتوزيع الأنصبة للمواريث تأخذ فيها المرأة مثل الرّجل، أو أنّ المرأة تأخذ أكثر منه، ففي هذه الحالة لو تمّ الحساب، الأخت لها النّصف وهي امرأة، يجب النّظر للموضوع من كلّ جوانبه لتدرك أنّ المرأة لم تُنصَف في أيّ شريعةٍ أو قانونٍ في العالم كما أنصفها القرآن الكريم، وكما أنصفها الله ﷻ، هنا تعدّد مواريث في تعدّد مسائل إرثيّة تأتي حالة من الحالات كهذه الحالة هنا، عندما يكون قد ترك إخوةً متّعددين رجالاً ونساءً فإن كانتا اثنتين فلهما الثّلثان، وإن كانت واحدةً فلها النّصف.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾: الضّلال هو عدم السّير على الطّريق

الصّحيح، أن تضلّ الطّريق أي تخطئ الطّريق، فالله ﷻ يبيّن لنا لكيلا نخطئ في حسابات الميراث وفي حقوق الورثة.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾: طالما أنّ الله ﷻ هو العليم، الحكيم، العزيز، الخالق، فعلى المخلوق أن يمتثل لأوامر الخالق جلّ وعلا.

تفسير سورة (المائدة)

من الآية: (١ ٨١)

تفسير سورة (المائدة) من الآية ١-٨١

القرآن الكريم له ترتيب نزولٍ وله ترتيبٌ مصحفيّ، أي (الفاتحة) ثمّ (البقرة) ثمّ (آل عمران) ثمّ (النّساء) ثمّ (المائدة).. هذا يسمّى ترتيبٌ مصحفيّ، رتّبه سيّدنا جبريل عليه السلام للنّبيّ ﷺ، أمّا ترتيب النّزول فليس بهذا الشّكل، فقد نزلت أوّل آية: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق]، لماذا هناك ترتيب نزولٍ وترتيبٌ مصحفيّ؟ لماذا لم يرتَّب القرآن الكريم كما نزل من أوّل آيةٍ نزلت حتّى آخر آية نزلت قبل وفاة النّبيّ ﷺ؟ الجواب: لأنّ القرآن الكريم منهجٌ ومعجزةٌ، فلو كان منهجاً فقط لرُتّب كما نزل، ولكنّه معجزةٌ خالدةٌ دائماً، فمن مقتضيات الإعجاز ترتيبه بهذا الشّكل المعروف، وهناك إعجازٌ في أحرف القرآن، وإعجازٌ في كلّ آيةٍ عندما وضعت في هذا المكان، وإعجازٌ عدديٌّ وعلميٌّ وإعجازٌ لغويٌّ وبيانيٌّ وتاريخيٌّ..

فهذا التّرتيب للسّور رتّبه جبريل عليه السلام وسمّي توقيفيّاً، أي هكذا أوقفه جبريل عليه السلام، فقد عرض القرآن الكريم على النّبيّ ﷺ وراجعه معه ﷺ في رمضان في آخر سنة قبل وفاته ﷺ مرّتين كما رتّبه جبريل عليه السلام، فعندما نأخذ القرآن بالطّريقة التي رتّبه فيها جبريل عليه السلام نرى فيه الإعجاز والدّواء لكلّ داء، وترى فيه السّنن الكونيّة، والقصص القرآنيّ، والأحكام الكليّة، والآيات المتشابهات، والآيات المحكمات.. ويبقى التّرتيب حسب ما رتّبه سيّدنا جبريل عليه السلام لا حسب النّزول حتّى يبقى الإعجاز فيه إلى أن تقوم السّاعة.

سمّيت هذه السّورة سورة (المائدة)؛ لأنّ فيها قصّة الدّعاء الّذي دعاه المسيح عليه السلام عندما طلب منه الحواريّون أن ينزل عليهم مائدةً من السّماء فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: من الآية ١١٤]، تبدأ السّورة بقوله سبحانه وتعالى:

(الآية ١) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: قلنا: إنّ الله سبحانه وتعالى عندما يبدأ بالأمر التّكليفيّ يخاطب المؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وهنا يُخاطب المؤمنين بالاسم الموصول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾، ولم يقل: (يا أيّها المؤمنون)، وهناك فارقٌ كبير، فلو قال: (يا أيّها المؤمنون)، فهذا يعني أنّ الإيمان قد تمّ وانتهى، أمّا عندما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، فهذا يُعطي معنى أنّ الإيمان عملٌ مستمرٌّ، ولا يمكن أن ينتهي، فهو ليس أمراً عابراً، ولكنّه يتجدّد حتّى يُنَفَّذ المطلوب، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النّساء]، والنّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق**»[1]، فإماطة الأذى عن الطّريق من الإيمان، وقال صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما**

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

يحبّ لنفسه»[1]، وقال ﷺ: **«ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم به»**[2]، إذاً عناصر الإيمان هي عناصر فعل، فدائرة الإيمان ليست دائرة اعتقاديّة بلا عمل، بل لا بدّ للإيمان من عملٍ يصدِّقه، لذا فإنّ الإيمان ليس أمراً عابراً، ولكنّه يتجدّد حتّى تُنفَّذ كلّ التّكاليف الإلهيّة، لذلك يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النّساء: من الآية ١٣٦]، أي استمرّوا في فعل الإيمان، وتحويل دائرة العقيدة من كلام إلى أفعال هو الإيمان بالله ﷻ، فالإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل.

﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾: مرّ بنا في سورة (النّساء) أحكام عقود النّكاح والصّداق والوصيّة والدّين والميراث. وهنا أتى الأمر العامّ وهو الإيفاء بالعقود، والعقد: علاقة موثّقة بين طرفين لهما حقوق وعليهما التزامات، والإيفاء بالعقود: أي إتمام هذا العقد، فإمّا أن يتعلّق بالأفراد، أي: على كلّ الأفراد أن يتمّوا العقود، أو أنّه يتعلّق بالكيفيّات، أي كيفيّة الإتمام بالعقد، وهذا من عظمة هذا الدّين وهذا الإيمان، فلكي تبرهن على إيمانك لا بدّ أن تتمّ العقود وتوفي بها، وأن يكون للإنسان المؤمن مصداقيّة بما له من حقوق وما عليه من واجبات، وأن يثق الطّرف الآخر الّذي واثق معه على العقد أنّه سيوفي بالتزاماته بهذا العقد.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، الحديث رقم (١٣).

(٢) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الألف، أنس بن مالك الأنصاريّ، الحديث رقم (٧٥١).

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإنسان ليس طارئاً على الكون، ولكنّ الله ﷻ أعدّ له موجبات الحياة في هذا الكون، فسخّر له الكون وما فيه، وهناك الجماد والنّبات والحيوان والإنسان، أعلى مرتبة هو الإنسان، وفي المرتبة الثّانية يأتي الحيوان، وقد سخَّر الله ﷻ الجماد والنّبات والحيوان للإنسان، لذلك يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس]، فذلّل له الأنعام لكنّه لم يذلّل له حيوانات أخرى كالبعوض والثّعبان والعقرب، فترى الإنسان يتعب كثيراً من بعوضةٍ صغيرةٍ أمامه؛ لأنّها غير مذلّلةٍ، فالتّذليل من عطاء الله ﷻ للإنسان، فأوّل العطاءات التي تستديم الحياة هو أنّ الله ﷻ أحلّ لنا بهيمة الأنعام، فما معنى: ﴿بَهِيمَةُ﴾ وما هو المعنى العام بالنّسبة للأنعام؟ البهيمة أي مبهمة علينا في أمورها، فالحيوان يتحرّك بالغريزة والإنسان يتحرّك بالعقل، ولكن ما يستر العقل عند الإنسان هو الهوى، لذلك يقال: أصبح كالحيوان، عندما يستر هذا العقل بالضّلال أو الخمر أو المخدّرات إلى ما هنالك، فالحيوانات محكومةٌ بالغريزة فهي مبهمةٌ، لذلك سمّيت: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، والأنعام هي الّتي ذكرها القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤٤]، هذه هي الأنعام التي أحلّها الله ﷻ للإنسان ليأكل منها وهي حلالٌ، ولكن نرى أنّ رسول الله ﷺ يشرّع كما قال ﷻ:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: من الآية ٧]، فالرّسول عليه الصّلاة والسّلام مكلّفٌ بالتّشريع أيضاً، فقد أحلّ ﷺ الظّباء وحمر الوحش، ولم يحرّم إلّا كلّ ذي نابٍ كالسّباع وكلّ ذي مخلبٍ من الطّير، وقيّض الله ﷻ هذا الحلال من أجل الإنسان، فحرّم جلّ وعلا الميتة والموقوذة والمتردّية من هذه الحيوانات وذلك من أجل صحّة الإنسان ومن أجل طهارته.

﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: حرّم الله ﷻ الصّيد أثناء الإحرام، والإحرام له زمانٌ ومكانٌ، الزّمان هو الأشهر الحُرُم الأربعة وهي ثلاثةٌ سرد: شوّال وذو القعدة وذو الحجّة، وواحدٌ فرد: رجب، فلا يحلّ للإنسان وهو محرمٌ أن يصطاد كما ورد في هذه الآية الكريمة: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ والأحكام تصدر عن الخالق جلّ وعلا، ولله ﷻ العلّة والحكمة، وقد يقول قائلٌ: ما هي العلّة والحكمة في ذلك؟ نقول: إنّه الانضباط الإيمانيّ فيما يتعلّق بمناسك الحجّ بالنّسبة للإحرام الزّمنيّ والإحرام المكانيّ هذا الانضباط مفاده أنّ الله ﷻ حرّم فيها القتال والصّيد وبعض المحلّلات التي كانت للإنسان أثناء الإحرام، كما أنّ الله ﷻ بيّن الطّواف حول الكعبة سبعة أشواط، لماذا لم يقل: ثمانية؟ بنظر الإنسان قد يكون الثّمانية أفضل من السّبعة، لماذا تُلقي حجراً؟ ولماذا تُقبّل حجراً؟ تقذف بحجر على حجر الّذي هو كناية عن إبليس في مِنى، وتقبّل الحجر الأسود، إذاً هناك انضباطٌ إيمانيٌّ في مناسك الحجّ له حكمةٌ، وعلينا القيام بالشّعائر التّعبديّة كما قال

النّبيّ ﷺ: «خذوا عنّي مناسككم»[1].

(الآية ٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾:

﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: أي لا تتهاونوا بشعائر الله ﷻ. وعندما يُطلق لفظ الشّعيرة يُراد به شعائر الحجّ، والشّعيرة: هي الأمر التّعبديّ الّذي أمر الله ﷻ به عباده.

﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾: أي الأشهر الحُرُم، فلا تتهاونوا فيما حرّم الله ﷻ في ذلك، فعندما تمتثل لأمر الله ﷻ فهناك ناحيةٌ تعبّديّةٌ في هذا بغضّ النّظر عن العلّة علمتها أم لم تعلمها، لذلك يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي لا تتهاونوا فيما يتعلّق بالمحرّمات بالنّسبة للأشهر الحُرُم ما كان من قتالٍ أو صيدٍ أو لباسٍ أو... إلى آخر الأمور.

﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾: الهدي: ما كان يُهدى إلى الكعبة، ففي الماضي كانوا يأتون بالهدي إلى الكعبة ليأكلوا اللّحم والطّعام في مكان البيت الحرام في ذلك الوقت، فهذا يسمّى الهدي.

---

(١) سنن البيهقي الكبرى: كتاب الحجّ، باب الإيضاع في وادي محسر، الحديث رقم (٩٣٠٧).

﴿ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾: وهي القلادة التي توضع للهدي المخصّص فقط لبيت الله الحرام الّذي يأتي به الحجّاج.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾: لقد اعتقد بعض النّاس ممّن مُنع من الطّواف بالكعبة وأداء العمرة من قِبَل مشركي مكّة عند صلح الحديبية، بأنّه يمكن له أن يمنع الآخرين عن الإحرام وعن الطّواف في بيت الله الحرام إذا تمكّن من ذلك، فبيّن الله ﷻ أنّه لا يجوز أن نمنع من يؤمّ البيت الحرام ويبتغي فضلاً من الله ورضواناً، فأمّا من قصده بالإلحاد فيه والشّرك عنده والكفر به فقد قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التّوبة].

﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾: عندما يتحلّل الإنسان من الإحرام يحقّ له أن يصطاد.

﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ﴾:

﴿شَنَـَٔانُ﴾: بغض، أي: لا يحملنّكم بغض قومٍ كانوا قد صدّوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام –وذلك عام الحديبية– أن تمنعوهم وتصدّوهم عن المسجد الحرام كما صدّوكم، هذا الدّين دينٌ عظيمٌ، فهو دفعٌ بالّتي هي أحسن، وهو معيار الخير والعطاء والرّحمة والحبّ. وأيّ نوعٍ من أنواع الاعتداء على الأنفس أو الأموال أو الدّماء أو الأعراض فهو محرّمٌ حرمةً شديدةً بنصّ القرآن الكريم، فإيّاكم أن تعتدوا وتمارسوا ما مارسوه باطلاً.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾: هذه الآية الكريمة فيها عمارة الكون ومنع الفساد، ففيها التّعاون بين كلّ مكوّنات المجتمع على أمرين اثنين: التّعاون على البرّ والتّقوى ومنع التّعاون على الإثم والعدوان، والبرّ: هو ما اطمأنّت له نفسك ورضيت أن يطّلع عليه النّاس، أمّا الإثم فهو على عكس ذلك فهو ما حاك في صدرك وكرهت أن يطّلع عليه أحدٌ، فمعيار التّعاون هو التّعاون على الخير والعطاء والبرّ وإعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، والتّعاون في سبيل نشر عمارة الكون وبناء النّهضة الحقيقيّة والّتي تتمّ عبر هذه المعادلة العظيمة، التّعاون بين كلّ الأطراف وكلّ النّاس على فعل الخير ومنع الشّرور والوقوف في وجه الضّرر والشّرّ. والتّقوى: هي جوامع الخير، والإسلام لم يأمر إلّا بالإحسان، والتّقوى وفعل الخير، وذلك بالنّسبة للوالدين والأولاد والأقارب والجيران وأهل الحيّ والمجتمع والوطن، وأمّا بالنّسبة لمجموع البشريّة فلا يمكن للمسلم إلّا أن يكون مصدر خيرٍ وعطاءٍ، وهذه الآية هي عنوانٌ عظيمٌ للتّعاون بيننا وبين كلّ النّاس على البرّ والتّقوى، وألّا نتعاون على الإثم والعدوان، فالاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال.. كلّ هذه من عناوين الإثم والعدوان الّتي حرّمها القرآن الكريم، وكان النّبيّ ﷺ يأمر أصحابه وأهله بالخير وبسعة الصّدر وبكظم الغيظ وبالدّفع بالّتي هي أحسن وبالإحسان بكلّ شيء، للإنسان والنّبات والحيوان.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: يذيّل الله ﷻ هذه الآية

بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ الأمر بالتّقوى هو أمرٌ بجوامع الخير، وعندما سئل الإمام عليّ كرّم الله وجهه: ما هي التّقوى يا أبا الحسن؟ عرّف التّقوى بتعريفٍ دقيقٍ فقال: "التّقوى هي العمل بالتّنزيل، والرّضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل، والخوف من الجليل"، هذه هي العناصر الّتي توصل الإنسان للتّقوى، ويأمر الله ﷻ هنا عباده أن يتّقوه، ويقول في آياتٍ أخرى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣١]، أي اجعلوا بينكم وبين النّار حاجزاً، وعندما يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي اجعلوا بينكم وبين غضب الله ﷻ حاجزاً، ولا بدّ من أجل تربية الإنسان واستقامة النّهج في الحياة الدّنيا أن يكون هناك تجريمٌ بنصّ، أي أنّه ﷻ يبيّن أنّ هذا الفعل له هذه العقوبة، وأنّ هذا الفعل له هذا الثّواب، والإسلام هو دعوة خيرٍ، هو دعوة رحمةٍ وعطاءٍ ومحبّةٍ وسلامٍ وأمنٍ، حتّى سمّى الدّين دين الإسلام، وهو من مادّة السّلم والأمان والاطمئنان للنّاس جميعاً، والتّحيّة في الإسلام هي: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعندما يقول ﷺ: «**لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتّى تحابّوا، أولا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السّلام بينكم**»[1]، أي أفشوا الاطمئنان بينكم، فهي ليست مجرّد كلمةٍ تُقال باللّسان، وإنّما السّلام هو أن يشعر الغير بالأمن تجاه هذا الإنسان؛ لأنّه مصدر خيرٍ وعطاءٍ ورحمةٍ، فنجد أنّ الإسلام يحرّم العدوان والقتل والكذب

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنّه لا يدخل الجنّة إلّا المؤمنون وأنّ محبّة المؤمنين من الإيمان وأنّ إفشاء السّلام سبب لحصولها، الحديث رقم (٥٤).

والرّشوة والسّرقة والغدر والخيانة والافتراء والغش والخداع فهو دعوة خيرٍ بكلّ المقاييس والمعايير.

(الآية ٣) - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾:

يتحدّث المولى ﷻ هنا عن المحرّمات الّتي حرّمها علينا من هذه الأطعمة، وكما قلنا سابقاً: إنّ الحلال بالنّسبة للإنسان هو الكثير، والمحرّم هو جزءٌ يسيرٌ ممّا أحلّ الله ﷻ للإنسان، والأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نصٌّ قطعيٌّ في التّحريم، وهذا نصٌّ قطعيٌّ في تحريم عدّة أمور:

- ﴿الْمَيْتَةُ﴾: وهي التي فارقت الحياة من دون نقض البنية، لمرضٍ أو بسببٍ من الأسباب المخفيّة علينا، فحرّم الله ﷻ أكلها حرصاً على صحّة الإنسان؛ لأنّ الدّاء المخفيّ فيها غير معلومٍ بالنّسبة للإنسان، ونبيّن هنا أنّ الحكمة والعلّة من التّحريم جاءت من الخالق ﷻ وهو أعلم بما يُناسب الإنسان، فإن علمنا العلّة والحكمة فنعمّا هي، وإن لم نعلم فنحن نمتثل أمر الله ﷻ، هنا الحكمة واضحةٌ من تحريم الميتة؛ وذلك حتّى لا نأكلها بدائها.

- ﴿وَالدَّمُ﴾: والدّم الّذي يسير في الشّرايين والأوردة، وفي الجسم دمٌ

صالحٌ ودمٌ فاسدٌ، فالدّم الّذي يخرج من الرّئة والكلى هو دمٌ فاسدٌ يحمل الفضلات منهما ويختلط بالدّم الصّالح، فلا يجوز أكل الدّم المسفوح. وقد ورد عن النّبيّ ﷺ قوله: «**أُحلّت لكم ميتتان ودمان، فأمّا الميتتان فالحوت والجراد وأمّا الدّمان فالكبد والطّحال**»[1] فالله ﷻ أحلَّ لنا ميتتان وهما السّمك والجراد لعدم وجود دمٍ فيهما، وأحلّ لنا دمان الكبد والطّحال؛ لأنّهما كتلةٌ واحدةٌ ولا يوجد فيهما دمٌ فاسدٌ، فالأمر ليس اعتباطيّاً.

- ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾: كثيرٌ من النّاس لا يعلمون العلّة من تحريم لحم الخنزير، وقد ثبت مؤخّراً أنّه يحمل الدّيدان الشّريطيّة وفيه أمراضٌ كثيرةٌ تنتقل إلى الإنسان عند أكله، لكنّنا لا نأكل لحم الخنزير لهذه العلّة؛ وإنّما لأنّ الله تبارك وتعالى قد نهانا، إذاً نحن لا نأكل لحم الخنزير ولا الميتة ولا الدّم من أجل العلّة من مرضٍ أو ديدانٍ.. كلا، بل امتثالاً وتعبّداً لأمر الله ﷻ.

- ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: كان المشركون يذبحون الذّبائح وينادون باسم اللّات والعزّى والتّماثيل الّتي يذبحون عندها هذه الذّبائح، والله ﷻ هو الّذي خلق الأنعام، وذلّلها للإنسان، فكيف تُذبح هذه البهيمة لتأكل من دون أن يذكر اسم المذلِّل عليها؟ فيجب أن يُقال عند ذبحها: باسم الله الله أكبر، لتصبح محلّلةً.

- ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: أي الّتي ماتت بقطع النّفَس عنها، ماتت خنقاً،

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب الكبد والطّحال، الحديث رقم (٣٣١٤).

سيقول قائلٌ: هي كالميتة، لكن حتّى يبيّن الله ﷻ بأنّه لا يجوز أكلها إلّا إذا ذُبحت، فإذا خُنِقَت لا تؤكل أيضاً، ومن النّاحية العلميّة نقول: إنّ النّفس يُدخِل الأكسجين ويُخرِج الكربون، وهناك تفاعلات، فهذه الأنعام من خلال خنقها تصبح فاسدةً والله ﷻ أعلم.

- ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: وهي المضروبة ضرباً مبرحاً حتّى تموت نتيجة هذا الضّرب.

- ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: وهي الّتي هوت من مكانٍ عالٍ وتردّت، فهي أيضاً معطوبةٌ لا يجوز أكلها.

- ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: هي الّتي ماتت نتيجة النّطح.

- ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: أي إذا اعتدى السّبع أو الوحش الضّاري على الأغنام والتقم منها قطعة لحمٍ فإن بقي من هذا اللّحم شيئاً فلا يجوز أكله بسبب تعرّضه للجراثيم وهذه علّةٌ طبيّةٌ.. ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ والذّكاة هي الذّبح الّذي يسيل منه الدّم ويأتي بحركةٍ من المذبوح، أي إن أخذت هذه النّطيحة أو المتردّية قبل موتها وذبحتها فسال منها الدّم وأتت بحركةٍ قبل الموت عندها يجوز الأكل منها، وهذا معنى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلّا: أداة استثناء، والاستثناء هنا ليس من الميتة والدّم ولحم الخنزير، بل هو استثناءٌ من المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنّطيحة وما أكل السّبع، أي إن قطع الوحش الضّاريّ قطعةً وأكلها من لحم غنمةٍ وبقيت على قيد الحياة واستطعت أن تذبحها فسال الدّم وتحرّكت بعد الذّبح فهذا اسمه التّذكية.

- ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: النّصب هي حجارةٌ كانت توضع عند الكعبة وتذبح عندها الذّبائح كقرابين، فهذا الّذي ذُبح محرّمٌ؛ لأنّه ذُبح لغير اسم الله ﷻ.

- ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾: الأزلام كانت عبارةً عن قداحٍ من الخشب مكتوبٌ في إحداها: (أمرني ربّي) وفي الأخرى: (نهاني ربّي) وتوجد واحدةٌ فارغةٌ فإن خرجت يعيدون الاستقسام بالأزلام، ويستقسمون فيها كم سيوزّعون أنصبةً لهذا أو ذاك؟! أو إن كان واحدٌ يريد السّفر فيستقسم، وهذا مختلفٌ تماماً عن الاستخارة، فالاستقسام بالأزلام كان موجوداً في أيّام الجاهليّة وهو محرّمٌ لما فيه من إضاعةٍ للحقوق واعتمادٍ على غير الله ﷻ.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: خروجٌ عن المنهج الإلهيّ، وخروجٌ عن الطّاعة، ماذا تعني كلمة فَسَقَ؟ التّمرة أو حبّة البلح عندما تنضج يقولون: فسقت التّمرة، أي خرجت من قشرتها بسهولة، فمن يأتي بهذه الأمور فقد فسق، أي خرج عن المنهج الإلهيّ.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾: اليوم هنا يعني الزّمان.

الآيات تتعلّق بتنظيم حركة المجتمع، من العقود والأمانات والأنكحة والأنظمة والحلال والحرام وما يصحّ وما لا يصحّ، فعندما تمتنع أو تمتثل يجب أن يكون في ناظرك الخشية من الله ﷻ وليس الخشية من النّاس، أو من القيل والقال، قال ﷻ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ لا تخشوا ممّن يستهزئون

بأحكام دينكم وبشرع ربّكم؛ لأنّ الّذي بيده مفاتيح الأمور والّذي بيده المُلك والرّزق والحياة والموت والّذي بيده البعث والنّشور والعقاب والثّواب هو الله ﷻ.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾: وليس بعد الكمال والتّمام من الله ﷻ.

﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾: ليس لأحدٍ أن يستدرك على الله ﷻ، ويقول: لقد كان لحم الخنزير محرّماً في ذلك الوقت والآن أصبح حلالاً، أو كان الرّبا محرّماً وأصبح الآن حلالاً، فهذا إشراكٌ بالله ﷻ وكفرٌ به ﷻ، فعندما تحدّث الله ﷻ عن هذه المحرّمات قال في نهايتها: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾: فبعد إرضاء الله ﷻ لا يوجد إلّا غضب الله ﷻ، أي فلا ترضى لنفسك غير ما ارتضاه الله ﷻ لك.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: الضّرورات تبيح المحظورات.

﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾: أي مجاعةٍ شديدةٍ.

﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾: مائلٍ إلى الإثم، اضطّر ليأكل ولا يوجد طعام إلّا الميتة، وسيموت إن لم يأكلها، فالاضطرار هنا المجاعة، لكن يجب أن يكون غير متجانفٍ لإثم؛ أي يُنكر الإثم لكنّه مضطّرٌ وهذا الاضطرار على قدر الضّرورة فقط والّتي هي استبقاء الحياة، فالقاعدة الأصوليّة الفقهيّة أنّ الضّرورات تبيح المحظورات جاءت من هذه الآية.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: فالله ﷻ لم يخلق النّاس لكي يعذّبهم، فإن كان هناك اضطرارٌ فإنّه يجوز للإنسان نتيجة هذا الاضطرار تناول المحرّمات

ليستبقي حياته، قال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

(الآية ٤) – ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: قد تُستخدم للحكم الشّرعيّ وقد تكون لأمورٍ عامّةٍ، أمّا قوله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ فلا تكون إلّا لحكمٍ شرعيٍّ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾: هنا يسألونك ما هو الحلال؟ والجواب: الحلال واسعٌ جدّاً، فكلّ ما حلّله الله ﷻ فهو طيّبٌ، أي كلّ ما لم يكن فيه تحريمٌ فهو طيّبٌ، أمّا الخبيث فهو ما حرّمه ﷻ.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾: المكلِّب: هو الّذي يدرّب الكلاب أو الطّيور أو الفهود أو النّمور أو الصّقور على الصّيد؛ لأنّه عندما يدرّبه على الصّيد لا يأكل الفريسة إنّما يمسك بها، فهذا الصّيد حلالٌ.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: قال العلماء: يذكر اسم الله تبارك وتعالى إمّا عند إطلاق الكلب أو الصّقر أو الجارحة من أجل الصّيد، أو عندما تأتي بالصّيد ويريد الإنسان أن يأكل منه، ولا بدّ من ذكر اسم الله تبارك وتعالى؛ لأنّه هو المذلّل وهو المنعم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فالقضيّة ليست قضيّة حلالٍ وحرامٍ، القضيّة أوسع من ذلك، القضيّة هي تقوى الله ﷻ، وهي الامتثال لأمر الله ﷻ، والانتهاء عمّا نهى الله ﷻ عنه، واتّباع منهجه ﷻ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: فإيّاك أن تعتقد أنّ الحساب مؤجّلٌ، بل هو أسرع ممّا نتوقّع، فعمر الإنسان ينقضي بسرعةٍ، كما قال ﷻ: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون]، فإن بلغ عمر الإنسان مئة عامٍ فكأنّه يومٌ واحدٌ أو بعض يومٍ؛ لذلك فإنّ الله جلّ وعلا سريع الحساب.

(الآية ٥) - ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾:

الآيات السّابقة كانت تتحدّث عن المحرّمات التي منعها الله ﷻ عن المسلمين من الطّعام، وهنا ختام هذه الآيات يقول المولى ﷻ:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾: أي منذ هذا التّاريخ أحلّ لكم الطّيّبات، وكلّ ما حلّله الله تبارك وتعالى طيّبٌ، وكما قلنا: إنّ الحلال واسعٌ والحرام ضيّقٌ، والقاعدة الفقهيّة تقول: الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نصٌّ بالتّحريم.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾: الّذين أوتوا الكتاب لهم صلةٌ بالسّماء فنحن نأكل من طعامهم، ويأكلون من طعامنا، ما لم يكن هناك تحريمٌ من قِبَل الإسلام بالنّسبة لنا، كلحم الخنزير أو غير ذلك فيما ورد فيه نصٌّ بالتّحريم، هذا هو التّعاضد الإيمانيّ، وهذا هو الاتّصال بمن

لهم صلةٌ بالسّماء، وإيّاك أن تقاطع أهل الكتاب وتقول: لا آكل من طعامهم، بل كلّ ما هو حلالٌ لنا في طعامهم نأكله، وهذه دعوةٌ إلى العلاقة المتميّزة بين المسلمين وبين أهل الدّيانات السّماويّة بشكلٍ عامّ؛ لأنّها من مشكاةٍ واحدةٍ، ومن ربٍّ واحدٍ، قال ﷻ: ﴿*شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشّورى]، ولا يجوز في أيّ حالٍ من الأحوال أن يكون الدّين سبباً في البغضاء والشّحناء والتّفرقة والتّمزّق، وأهل الرّسالات السّماويّة هم أولى النّاس بالمحافظة على العلاقات الّتي تبني الأسس السّليمة للأخوّة الإيمانيّة، ومن ضمنها يكون العمل الوطنيّ والمواطنة والّتي فيها مساواةٌ بالحقوق والواجبات بين المسلم والمسيحيّ.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: كيف دخل الحديث المتعلّق بالحلال من الطّعام مع ما أحلّه الله ﷻ بالنّسبة للزّواج؟ نقول: هناك استبقاءٌ للنّوع عن طريق الزّواج وهناك استبقاءٌ للحياة يكون عن طريق الطّعام، إذاً يحلّ لنا الزّواج من الكتابيّات.

المحصنة: أي الحرّة العفيفة، وترد أيضاً في بعض الآيات كلمة الإحصان بمعنى المتزوّجة. وهنا المراد: الحرّة العفيفة، لأنّ الحرّة سابقاً هي الّتي لا تزني، فقد انتشر نظام العبوديّة وأصبح سائداً في المجتمع قبل الإسلام، ولكن عندما جاء الإسلام أخرج النّاس من رقّ العبوديّة تدريجيّاً من خلال

تعاليم القرآن الكريم الّذي نزل على قلب المصطفى ﷺ، فهنا كلمة محصنةٍ وردت بمعنى الحرّة العفيفة النّزيهة الّتي لا تزني، فيحقّ لك أن تتزوّجها غير مسافحٍ ولا متّخذٍ خليلة.

﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: يجب أن تعطي المهر، وهنا نقول للنّاس جميعاً: إنّ بعضهم يتحدّث عن حقوق المرأة في الإسلام، وتحدّثنا في سورة (النّساء) كثيراً عن ذلك، فهل المهر هو ثمنٌ للمرأة؟ أعداء الإسلام وأعداء الأمّة يريدون أن يشوّهوا معالم الإسلام الحقيقيّة الرّاقيّة، فصنعوا إسلاماً خاصّاً لهم في الغرب على أنقاض الفكر الوهّابيّ والفكر الخوارجيّ، والإسلام هو إسلامٌ واحدٌ وهو الوسطيّة والاعتدال، وجعلوا المرأة متاعاً، والمهر ثمناً لها، وكرّسوا هذا المفهوم في المجتمعات، بينما القرآن الكريم يتحدّث عن المهر بأعظم صفةٍ، فيقول الله ﷻ في سورة (النّساء): ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ الصّداق يعني المهر، ﴿نِحْلَةً﴾: عرّف المهر بأنّه نحلة أي هديّة وليس ثمناً للمرأة، فأعظم امرأةٍ هي السّيّدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت أقلّ النّساء مهراً على الإطلاق، فتحليل الزّواج بالنّسبة إلينا إيجابٌ وقبولٌ وشهادة الشّهود والإشهار والصّداق أي المهر بحبّة تمرٍ أو بأيّ شيءٍ يعبّر عن هذه الهديّة، قال النّبيّ ﷺ: «**إنّ من أعظم النّساء بركةً أيسرهنّ صداقاً**»[1]، فأعظم مهرٍ هو الأقلّ؛ لأنّ

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الصّداق، باب ما يستحبّ من القصد في الصّداق، الحديث رقم (١٤١٣٤).

الإسلام لا يثمّن المرأة بالمهر، وإنّما يكرّمها، وهناك فارقٌ بين أن يثمّن وأن يكرّم، هذه الهديّة هي تكريمٌ وتعبيرٌ عن المودّة، قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرّوم]. فقد أُحلّ لنا أن نأكل من طعام أهل الكتاب الّذي يكون ضمن دائرة المحلّلات الإسلاميّة وأيضاً الزّواج منهنّ بشروطٍ: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ﴾: فلا بدّ من دفع المهر، وكما يكون المهر بالنّسبة للمسلمة يكون المهر بالنّسبة للزّوجة المسيحيّة.

﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: السّفاح بمعنى الزّنى. أي أنت تحصن وتقي نفسك من السّفاح، والسّفاح هو العلاقات المحرّمة.

﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ﴾: الأخدان: ج. خِدن، وهي: الخليلة.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الإيمان له ترجمة، فلا يكفي أن تقول: إنّي مؤمنٌ بالله ﷻ، فوظائف الإيمان أن تعرف الحلال والحرام فتبتعد عن الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به و.. إلخ، فهذه موجبات الإيمان، لذلك أتبعَ الله ﷻ الآية المتعلّقة بمحرّمات الطّعام ومحرّمات العلاقات الجنسيّة بمن يكفر بالإيمان حتّى يبيّن المولى ﷻ بأنّ الإيمان من حيث هو عقيدة يجب أن يكون مترجماً بالعمل.

﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾: أي كلّ عملٍ يقوم به لن يكون له أجرٌ ولا ثوابٌ عليه في الآخرة؛ لأنّه خالف أوامر الله ﷻ.

(الآية ٦) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾:

في كتاب الله ﷻ آيةٌ واحدةٌ تتعلّق بالوضوء، وقد دخل أحد العلماء إلى مسجدٍ فوجد الشّيخ الّذي يدرّس في هذا المسجد يشرح أبواب الطّهارة وأبواب الوضوء في اليوم الأوّل ثمّ في اليوم الثّاني ثمّ في الثّالث، ومرّ شهرٌ وكلّما مرّ بالمسجد يسمعه يتحدّث عن موضوع الطّهارة والوضوء، وهو أمرٌ مفروضٌ في الإسلام، فتعجّب هذا العالم وقال له: كلّ القرآن الكريم وهو ستّة آلافٍ ومئتان وستٌّ وثلاثون آيةً، وآيةٌ واحدةٌ فقط تتعلّق بالوضوء، فهل يُعقَل أن نحجز الفكر الدّينيّ فقط في آيةٍ واحدةٍ وندع ستّة آلافٍ ومئتين وستّاً وثلاثين آيةً أخرى؟ إذاً هي آيةٌ واحدةٌ، وعلى المؤمن أن يلتزم بها، ولكن سيقول قائلٌ: كيف انتقل القرآن الكريم إلى الحديث عن الوضوء؟ والجواب: هذا هو الإعجاز؛ لأنّه: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النّساء: من الآية ٨٢]، ونحن نريد كتاباً كأنّ بشراً قد كتبه، والمولى ﷻ يريد أن نفكّر جيّداً فيما لو كان من عند غير الله ﷻ كيف سيكون؟ والجواب: سيكون فيه وحدة موضوع، وأنت تتعجّب من أنّه كان

يتحدّث عن الطّعام ثمّ تحدّث عن الزّواج وبعدها انتقل إلى مقدّمات الإعداد بالنّسبة للصّلاة وهي الوضوء. هذا ليس تشتّت لكنّه عدم فهمٍ منك؛ لأنّ القرآن الكريم هو كتاب الله ﷻ وهو وحدةٌ متكاملةٌ، فأنت لا تستطيع أن تبوّب أو أن تفرّق ما بين القضايا الإيمانيّة، فتأتي إلى أمور الدّين العامّة وأمور العبادات وأمور المعاملات وأمور الأخلاق فتجدها بُوِّبَت وصُنِّفت لدى الفقهاء والعلماء، أمّا في القرآن الكريم فهي كلّها تدور حول محورٍ واحدٍ وهو محور الدّين، فلا يمكن أن تفصل الدّين بأن تقول: أنا أصلّي ولا أزكّي، أو أنا أتعبّد بأنّ الأنعام حلالٌ والميتة حرامٌ ولكنّي لا أتوضأ أو لا أصلّي.. إذاً القرآن الكريم هو وحدةٌ إيمانيّةٌ متكاملةٌ؛ لذلك فإنّ متطلّبات الإيمان الّتي تراها بأنّها متفرّقةٌ هي مكمّلةٌ للوظائف الدّينيّة الإيمانيّة الّتي وردت في كتاب الله ﷻ، فهنا يكون الانسجام، وليس كما يعتقد بعض النّاس أنّ القرآن الكريم يتحدّث عن موضوعٍ ثمّ ينتقل إلى موضوعٍ آخر لا يمتّ له بصلةٍ، هو لا ينتقل إلى موضوعٍ آخر، إنّما هو ضمن محور الإيمان الواحد، أحكامٌ تنظّم حركة المجتمع بالعقود والأمانات والأنكحة، وما يتعلّق بالفرائض، وما يتعلّق بالمطلوب، بهيكل الدّين العامّ.. لذلك ينتقل من (افعل) إلى (لا تفعل)، ومن قصّةٍ قرآنيّةٍ إلى عبرةٍ إلى أخلاقيّاتٍ تتولّد من خلال السّنن الّتي وردت في القصص القرآنيّ إلى الآيات العلميّة الّتي تتعبّد الله ﷻ من خلالها، فأنت تتعبّد عندما تنتهي عن أكل الميتة أو الدّم أو لحم الخنزير، فالامتناع يكون لأمر الآمر وليس لعلّةٍ، وليس الإسلام كما يعتقد بعضهم أنّه ثقافةٌ، وإنّما هو منهج حياةٍ، متكاملٌ مترابطٌ، ينتقل من الزّواج

إلى الطّهارة إلى الوضوء إلى الحلال إلى الحرام إلى الأخلاقيّات إلى القصص ضمن محور الإيمان بالله ﷻ وتنفيذ أوامره والتّعبّد له ﷻ، فأنت لا تتعبّد بالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ فقط، بل كلّ عملٍ تقوم به فأنت في عبادة، الآن نعود للإعداد للصّلاة، ما هي الصّلاة؟ الصّلاة هي دعاءٌ وصلةٌ واتّصالٌ مع المنعِم الخالق، فأنت تعيش في الحياة مع النّعم، والآيات السّابقة تتعلّق بالحلال من الطّعام والمحلّل من النّساء للزّواج، فأنت تتحرّك في النّعم، والآن تستعدّ لتلاقي المنعِم مباشرةً فلا بدّ من استعدادٍ ثلاثيٍّ، استعدادٍ مكانيٍّ وزمانيٍّ وبدنيٍّ حتّى يكون اللّقاء، فالاستعداد الزّمانيّ هو مواقيت الصّلاة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النّساء: من الآية ١٠٣]، والاستعداد المكانيّ هو أن تتوجّه إلى القبلة وأن يكون المكان طاهراً، والاستعداد البدنيّ أن تكون طاهراً من الحدث الأكبر ومتوضّئاً، وهنا نبدأ بالإعداد البدنيّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: لم يقل: يا أيّها النّاس؛ لأنّ من لم يؤمن لن يتوضّأ، فالسّبب هو عقد الإيمان.

﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: ما هي أركان الوضوء؟ الجواب: هي في قوله ﷻ: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ هذه هي أركان الوضوء، وقسمت إلى قسمين: قسمٌ يُغسَل، وقسمٌ يُمسَح:

فالّذي يُغسَل الوجه، وهو معلومٌ بالنّسبة للإنسان، أمّا الأيدي فهي

ليست محدّدةً لذلك حدّدها إلى المرافق؛ لأنّك عندما تقول: يد، قد تقصد الزّند، وقد تقصد السّاعد، وقد تقصد الكفّ، فجاء التّحديد هنا، هذه أركان الغسل أي يعمّ الماء العضو المغسول، أمّا البدء بغسل اليدين والمضمضة والاستنشاق فهي سنن الوضوء، وأمّا أعضاء الوضوء الّتي تُمسَح فهي:

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾: الباء للتبعيض، ولم يقل: وامسحوا رؤوسكم، فلو قال: وامسحوا رؤوسكم، لكان المسح لكلّ الرّأس، وهنا وردت عدّة أقوالٍ للفقهاء يمكن أن تأخذ بأيّ قولٍ منها، فمنهم من قال: جزءٌ من الرّأس، ومنهم من قال: نصف الرّأس..

﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾: هنا يوجد كسرٌ إعرابيّ، فكيف بقرآنٍ يَتحدَّى بالبلاغة يكسر الإعراب، فقوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ الباء حرف جرّ، و(رؤوسكم) اسم مجرور بالباء، والواو حرف عطف، ولكنّه قال: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ والمفروض: وأرجلِكم، لكن لو قال: (وأرجلِكم) لصار العطف على المسح، لكنّه ﷻ نبّه إعرابيّاً ليقول لنا: إنّ القدم تُغسل ولا تُمسح، وحدّد الكعبين؛ لأنّ الرّجل يمكن أن تكون من عند الفخذ، ويمكن أن تكون من عند الرّكبة، ويمكن أن تكون من عند الكعب، كلّها يُطلق عليها رجل، فحدّدها إلى الكعبين كما حدّد اليد إلى المرفق، إذاً غسل القدم إلى الكعب كغسل اليد إلى المرفق، فهذه آية الوضوء أصبحت واضحةً. فأركان الوضوء: غسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين والمسح على جزءٍ من

الرّأس، وغسل القدمين إلى الكعبين، وترتيب أفعال الوضوء كما ورد التّرتيب القرآنيّ، أمّا باقي الأمور كالبدء بغسل اليدين، والمضمضة والاستنشاق.. فهي سننٌ عن النّبيّ ﷺ.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾: هذا من الإعداد البدنيّ للصّلاة، ففي الحدث الأكبر لا يكفي الوضوء، بل يحتاج إلى طهارةٍ.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: الموضوع كلّه يتعلّق بالإعداد البدنيّ قبل الانتقال إلى الإعداد الزّمنيّ والإعداد المكانيّ من أجل لقاء المنعِم تبارك وتعالى، فعندما تريد أن تُقابِل عظيماً أو وجيهاً أو غنيّاً فإنّك تستعدّ بأفضل الملابس وأفضل الكلمات وغيرها من الأمور. فهل يُعقَل أن تلاقي الله ﷻ من دون إعدادٍ بدنيٍّ ومكانيٍّ وزمانيٍّ؟ لذلك لا بدّ لك عندما تريد ملاقاة الله ﷻ أن تكون متوضّئاً، وأن تكون طاهراً من الحدث الأكبر قبل الوضوء.

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: كناية عن الجِماع.

﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: الطّيب هو التّراب، بشرط أن يكون خالياً من النّجاسة.

والمنعم هو الّذي يحدّد لك طريقة المقابلة وهي الوضوء إمّا بالماء أو بالتّراب إن فُقِدَ الماء.

﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾: وهذه هي طريقة التّيمّم، وهي الطّهارة المعنويّة حتّى يزيل ﷻ الحرج عن الإنسان المريض أو المسافر.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾: والّذي يحدد الحرج هو الحلال والحرام، فبالنّسبة إلى الصّيام قال المولى ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ [البقرة]، فإذا كان هناك حرجٌ فقد حدّد الله ﷻ المسار فقال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ فمن لم يستطع الصّيام لمرضٍ فإنّه يُطعم عن كلّ يومٍ أفطر فيه، وهذا من التّيسير ورفع الحرج. وكذلك التّيمّم هنا هو تيسيرٌ إذا لم يوجد الماء للوضوء أو لرفع الحدث الأكبر.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: الطّهارة الحسيّة والطّهارة المعنويّة، ويتمّ نعمته؛ ويقصد بها ملاقاة المنعِم ﷻ. فأنت منذ قيامك من سريرك إلى عودتك له تتقلّب في نِعم الله ﷻ، وأنت تريد اللّقاء مع مالك الملك ﷻ، مع من بيده صحّتك ومرضك، حياتك وموتك ورزقك وفقرك وسعادتك وتعاستك فكيف تقابله؟ الجواب: تلقاه في الصّلاة، وهذا هو إتمام النّعمة.

(الآية ٧) – ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾:

الذّكر هو ضدّ النّسيان، فالمولى ﷻ جعل في مخّ الإنسان ذاكرة، فهذه الذّاكرة تلتقط الشّعور وتخزّن الأمور، قال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا

نَسِيتَ﴾ [الكهف: من الآية ٢٤]، فالذّكر هو عمدة العبادات، حتّى أنّ الله سبحانه وتعالى أطلق اسم الذّكر على القرآن الكريم، فقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وسمّي بالذّكر؛ لأنّ قارئه يعيش مع كلام الله ﷻ. والذّكر هو استحضار نعمة الله ﷻ على العباد، فالإنسان عندما يعيش في نعمة الصّحّة وفي نعمة الرّزق والأمان فكأنّما أُعطِي مفاتيح الدّنيا كلّها، فبالشّكر تدوم النِّعَم، ويكون الشّكر بالذّكر، وعندما يذكر الإنسان ربّه فإنّه يمتثل لأوامر الله ﷻ.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾: الميثاق هو العهد، ويفسّر بأمرين:

١- عهد الإيمان؛ لأنّه ميثاقٌ بين العبد والربّ، وهو ميثاق الإيمان الّذي بموجبه آمنا بالله ﷻ، وبفضله سندخل الجنّة كما وعد الله ﷻ.

٢- وهناك ميثاقٌ آخر عندما كنّا في عالم الذّرّ، والميثاق الرّبانيّ هو في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف]، لذلك في كلّ إنسانٍ فطرة إيمان كما قال النّبيّ ﷺ: «**ما من مولودٍ إلّا يولَد على الفطرة**»[1]، ففي هذه الفطرة يوجد الإيمان، لكن لا بدّ من إرسال الرّسل لتعرف عن المولى ﷻ وصفاته وجلاله وعقابه وعن الحلال والحرام.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصّبيّ فمات هل يُصلّى عليه؟ وهل يُعرض على الصّبيّ الإسلام؟ الحديث رقم (١٢٩٢).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: الله ﷻ عليمٌ بما في صدورنا، وأعمالنا تكون حسب نوايانا، قال ﷺ: «**إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو إلى امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1]، وهذا معنى أنّ الله ﷻ عليمٌ بذات الصّدور، وعليمٌ بالنّوايا إذا كانت لوجه الله تبارك وتعالى أم لا.

(الآية ٨) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾:

الأوامر الإلهيّة والتّكاليف الإيمانيّة تأتي بناءً على عقدٍ إيمانيّ، فالله ﷻ عندما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعدها سيأتي تكليفٌ إيمانيٌّ؛ لأنّك طالما آمنت بأنّه الخالق الموجِد وأنّ الرّجوع إليه متمثّلٌ في جنّةٍ أو نارٍ فعليك أن تمتثل التّكاليف الإلهيّة، أما عند قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فتكون قضايا عامّة لكلّ البشر.

الآية هنا وردت بصيغة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ فهناك أمران: أوّلهما أن نكون قوّامين لله ﷻ، وثانيهما أن نكون شهداء بالقسط.

وقوّام: مبالغة اسم فاعل من قائم، وسنوضّح المعنى بالمثال الآتي: إذا

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (١).

قام أحدهم بصنع بابٍ خشبيٍّ فنقول عنه: ناجر، ولكن إذا استمرّ بالعمل نفسه نقول: نجّار، تماماً كقائم وقوّام، فعندما نقول: قائمٌ على أمرٍ، خلاف قوّام، أي أنّه يجب علينا باستمرار أن نكون قوّامين بأمر الله ﷻ، أي متمثّلين لأوامره ﷻ مؤكّدين على إتيانها. وقد ذكرنا عند قوله ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النّساء: من الآية ٣٤]، أي أنّ الرّجل قائمٌ على المرأة بكلّ أمورها، وفي خدمتها والإشراف على مال النّفقة، وهذه ليست درجة تفضيلٍ على المرأة بل تكليف.

والله ﷻ طلب أن يعمل الإنسان على قدر طاقته وليس على قدر حاجته، وهناك اختلافٌ بينهما، فإذا عمل على قدر طاقته فإنّه يستوعب الآخرين، بينما إذا عمل على قدر حاجته فإنّه يعمل لنفسه فقط، فالعمل على قدر الطّاقة يكون فيه متّسعٌ للآخرين، متّسعٌ من المال للصّدقات والنّفقات ممّا يعود نفعه إلى النّاس، فهذا يؤكّد معنى الحركات الرّبّانيّة المتساندة. والله ﷻ عندما يقول: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ فكما منعك أن تسرق من مال غيرك منع غيرك من أن يسرق من مالك، وكما منعك من الزّنى مع محارم غيرك منع غيرك من الزّنى مع محارمك.. وهكذا، فهي حركةٌ متساندةٌ متعاضدةٌ في المجتمع عندما تمتثل لأمر الله ﷻ، الّذي أعطى الحقوق للفقراء والمساكين والأيتام عندما قال في هذه الآية: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ فأنت تتعامل مع الله ﷻ وليس مع خلقه، وذلك مثل قوله جلّ وعلا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة]، أنت لا تقرض الله ﷻ ولكنّك تعطي خلقه، فكأنّك أقرضت الله ﷻ، فتصوّر أنّك تُقرِض غنيّاً مساوياً لك بالغنى، فكيف بالله الغنيّ الّذي خزائنه مليئة لا تنفد؟ فالتّعامل يرتقي في المجتمع عندما تكون قوّاماً بأمر الله ﷻ، وقِسْ على ذلك كلّ أعمال الخير الّتي أمر بها الإسلام. من هذا المنطلق نطرح السّؤال الآتي: أيعود نفع هذه التّكاليف الإيمانيّة إلى الله ﷻ أم إلى خلقه؟ والجواب: بالتّأكيد إلى خلق الله؛ لأنّه ﷻ غنيّ عن صلاتنا وعن زكاتنا وعن صدقاتنا، فالّذي يُميط الأذى عن طريق أخيه يُكتب له بها صدقة، حتّى مَن يتبسّم في وجه أخيه له صدقة، هذا هو الإسلام، فكيف يصفونه بالإرهاب والعنف؟! نحن ندحض كذبهم بطرح الأسئلة الآتية: هل الإسلام دين لطفٍ أو أنّه دين عنفٍ؟ هل هو دين عطاءٍ أو دين قهرٍ؟ أهو دين إجبارٍ أم دين اختيارٍ؟ هل هو دين حبٍّ أو أنّه دين بغضٍ؟ وهل هو دين رحمةٍ أو أنّه دين شقاءٍ؟ والجواب: ما كان لرحمة السّماء أن تكون وسيلةً لشقاء النّاس أبداً، فالّذين يتّهمون الإسلام لم يفهموه لعدم قراءتهم للقرآن الكريم، فأنّى لهم معرفة كلام الله جلّ وعلا وتفسيره؟ ولو أنّهم فَهِموا كلامه ﷻ كما أُنزل لَما اتّهموا الإسلام بالتّطرّف والعنف.

﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: أي بالعدل، فما العلاقة بين الشّهادة بالعدل وبين القوامة؟ العلاقة أنّك أمام أمرين: أوّلهما التّركيز على إصلاح ذاتك، بأن تكون قوّاماً لأمر الله ﷻ، وثانيهما العمل على إصلاح غيرك بشهادتك

بالعدل، أي برفعك الظّلم، فعندما يؤمر المسلم بشهادة العدل على أيّ أمرٍ من الأمور في هذه الحياة الدّنيا فكأن الله ﷻ يصلح النّاس من خلال إصلاح الفرد الّذي يقوم بأمر الله ﷻ وبالشّهادة بالعدل الّذي لا يدفعه بغض أقوامٍ على ألّا يعدل، والدّليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ فالمؤمن مطالبٌ بإصلاح نفسه وإصلاح غيره، بأن يشيع شهادة العدل الّتي هي الأساس لحياة النّاس، والّتي لولاها لأكل النّاس بعضهم بعضاً، وإيّاك أن تدخل الهوى في موضوع العدل؛ لذلك قال ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ أي لا يحملنّك بغض قومٍ من الأقوام على ألّا تعدل، ونحن نعلم قضيّة اليهوديّ الّذي اتُّهِم بسرقة درع أحد المسلمين في المدينة المنوّرة، فأنزل الله ﷻ على النّبيّ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النّساء]؛ لذلك كان العدل سيّد الأحكام وأساسها الّتي أصدرها النّبيّ ﷺ في فترة حياته، وقام الخلفاء ﷺ من بعده باتّباع منهجه وسنّته وخير مثالٍ على ذلك قصّة القبطيّ المسيحيّ الّذي كان بمصر أيّام حكم عمرو بن العاص ﷺ، حيث تسابق ابن عمرو بن العاص مع أحد الأقباط بالخيل فسبقه القبطيّ، فضربه ابن عمرو بن العاص بالسّوط وقال: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين؟! فحزن القبطيّ وتألّم كثيراً، وخرج من مصر إلى المدينة المنوّرة ليشتكي إلى عمر بن الخطّاب ما فعل ابن الوالي عمرو بن العاص، ولو كان يشكّ للحظةٍ واحدةٍ أنّه لن يُنصفه ما كان ليذهبَ من مصر إلى المدينة

المنوّرة ليشتكي على ابن الوالي، وعندما وصل وروى القضيّة أمام عمر بن الخطّاب استدعى سيّدنا عمر ﷺ عمرو بن العاص وابنه، وعندما جاءا وبعد أن دقّق عمر ﷺ بالقضيّة أخذ الدّرّة وأعطاها للقبطيّ وقال له: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك، فضرب القبطيّ ابن عمرو بن العاص مثل ما ضربه، وعندما ضربه قال: اكتفيت يا أمير المؤمنين، فقال: لا، اجعلها على صلعة عمرو بن العاص، فوالله ما ضربك إلّا بسلطان أبيه، قال: يا أمير المؤمنين، لقد ضربتُ من ضربني، فقال: لا، اضربْ صلعة ابن العاص، فلقد ضربك بسلطان أبيه.

﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾: جملة القرآن الكريم هنا تشمل الطّرفين، فعلى سبيل المثال: كان هناك خصمٌ لا يؤمن بالله ﷻ، بينما أنت تؤمن بالله ﷻ، وشَهِدت شهادة حقٍّ فعاد الحقّ إليه نتيجة شهادتك، فأصبحت بعملك هذا أقرب للتّقوى، وأصبح هو أيضاً أقرب للتّقوى؛ لأنّه سيقول: نِعم الرّبّ الّذي يُعاتِب أحبابه بأعدائه، فاقترب للتّقوى كلٌّ من الطّرفين، هكذا هو دين الإسلام الّذي يحقّق التّقوى بالعدل وليس بالقوّة والقهر، ويدخل النّاس فيه بالعدل والرّحمة والعطاء، والأمثلة في تاريخنا الإسلاميّ مشرقةٌ لكنّ بعض النّاس ينسب كلّ جريمةٍ وقعت على سطح الأرض إلى الإسلام قائلاً: في كتب فقهاء المسلمين يعلّمون النّاس الكراهية، ويعلّمونهم إلغاء الآخر، فها هو القرآن كتاب المسلمين الّذي هو مصدرٌ للتّشريع يقول لك: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾

فنِعمَ الرّبّ الّذي يُعاتب أحبابه بأعدائه، والله ﷻ يقول لأشرف خلقه نبيّه محمّد ﷺ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية]، إذاً من منح هؤلاء النّاس سلطة القهر والتّحدّث باسم الإسلام وهم أعداءٌ للإسلام وأعداءٌ للأمّة، تواطؤوا مع العالم الخارجيّ ويحاولون تشويه صورة الإسلام، لذلك انطلقنا في تفسيرنا، إضافةً إلى كلّ القواعد الفقهيّة وقواعد علوم القرآن الكريم إلى التّحليل بدلاً من التّلقين كما قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمّد].

كيف دخل الإسلام إلى مناطق كثيرةٍ من العالم؟ والجواب: دخل من خلال العدل والأخلاق، لذلك التّركيز في دعوة الإسلام على الأخلاق، قال نبيّنا ﷺ: «**إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[1]. والله ﷻ وصف نبيّه عليه الصّلاة والسّلام بأعظم وصفٍ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: الأمر العامّ للمؤمنين جميعاً هو المحافظة على تقوى الله ﷻ؛ لأنّ التّقوى هي الطّريق إلى الجنّة، وهي الخير بكلّ عناوينه، والله ﷻ خبيرٌ بما تعملون لا يخفى عليه أيّ أمرٍ سواءً أكان مخفيّاً أم معلناً.

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الشّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلّقاً بها كان من أهل المروءة، الحديث رقم (٢٠٥٧١).

(الآية ٩) – ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: النّاس من عالم الأغيار، فربّما يعد أحدهم شخصاً بأمرٍ وفي الغد تتوفّاه المنيّة أو قد يفتقر..، فهو عالم أغيار، أمّا الحيّ الّذي لا يموت، الرّزّاق، القادر، فإذا وعد فإنّ وعده مُحقّقٌ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: لم يكتفِ الله ﷻ بذكر الإيمان فقط، بل أتبعه بترجمة الإيمان وذلك من خلال وظائف الإيمان الّتي تَرِد بعد التّكليف الإيمانيّ (افعل) و(لا تفعل) وهذا حلالٌ وهذا حرامٌ.

﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: قبل ذكر الجنّة أكّد الله ﷻ على درء المفسدة، فدرء المفاسد هي دعوة النّاس جميعاً إلى المغفرة، فإن تاب العبد فإنّ الله ﷻ أعدَّ له مغفرةً يتبعها الأجر العظيم وهو لقاء الله ﷻ وجنان النّعيم، فدائماً في وعد الجنّة تتقدّم المغفرة، وهذا مثالٌ يوضّح الأمر: فلو أنّ أمامك شخصين، أحدهما سيلقي عليك بحجرٍ والآخر سيلقي تفاحةً، فأنت تلتفت إلى صدّ الحجر قبل أخذ التّفاحة؛ لأنّ درء المفاسد مقدّمٌ على جلب المصالح، وهذه قاعدةٌ فقهيّةٌ.

(الآية ١٠) – ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾:

وهذا من عدله ﷻ، وحكمته وحكمه الّذي لا يجور فيه، بل هو الحَكَم العدل الحكيم القدير.

(الآية ١١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: لا شكّ أنّ الله ﷻ عندما يخاطب المؤمنين فإنّه يخاطبهم بتكاليف إيمانيّة؛ لأنّ العقد بين المؤمن وبين الرّبّ هو عقد الإيمان، أنّي آمنت بالله خالقاً وآمنت به موجِداً وآمنت به محيياً ومميتاً؛ لذلك عليّ أن ألتزم بموجب هذا العقد والميثاق.

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: هنا يتحدّث المولى ﷻ عن النِّعم، وكنا قد تحدّثنا عن الانتقال ما بين النّعمة والمنعِم، وعلى الإنسان أن يكون دائماً في ذكر المنعِم ﷻ، وأن يكون ﷻ حاضراً في ذهنه، وكما قال ﷺ: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[1]، هنا الآية تتعلّق بنعمة بيّنها المولى ﷻ:

﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾: المراد هنا بسط اليد بالإيذاء لرسول الله ﷺ، وذلك عندما أراد يهود بني النّضير أن يلقوا حجراً كبيراً على النّبيّ ﷺ فأخبره سيّدنا جبريل عليه السلام بذلك ونبّهه من هذا الاعتداء الآثم لليهود.

كلمة ﴿هَمَّ﴾ بشكلٍ عامٍّ هي الشّيء الّذي يغلب على فكر

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السّاعة، الحديث رقم (٥٠).

الإنسان قبل أن يقوم به، ولكن يكون معه غمّ فيقال: همٌّ بغمٍّ، ويقال: إنّ الإنسان مهمومٌ، والهمّ من أشدّ جنود الله ﷻ فتكاً بالإنسان.

هنا في هذه الآية: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ أي حدّثوا أنفسهم بتبييت أمرٍ قبل أن يفعلوه، وأن يبسطوا أيديهم بشرٍّ على رسول الله ﷺ فكفّ أيديهم عنكم.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: ومع هذه النّعم المطلوب هو تقوى الله ﷻ، أي الأخذ بجوامع الخير والامتثال لأوامر الله ﷻ والانتهاء عمّا نهى عنه، والخوف من صفات الجبروت والجلال لله ﷻ، وكما قلنا: الإنسان له جوارحٌ، فمثلاً جارحة القلب هي للتّوكل وجارحة اليدّ هي للعمل وجارحة القدم هي للسّعي، فإيّاك أن تستبدل عمل جارحة القلب بجارحة القدم أي: إيّاك أن تتكاسل عن السّعي وعن العمل بحجّة أنّك متوكّلٌ، فهنا تكون متواكلاً، فكأنك حوّلت مهمّة جارحةٍ إلى جارحةٍ؛ لأنّ القلب ليس مهمّته العمل بينما اليد مهمّتها العمل، فعليك أن تعمل والقلب يتوكّل... وأن تأخذ بأسباب الله ﷻ، فأنت تتعلّم وتأخذ بأسباب الحضارة وتأخذ بالقوّة كما قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال]، إذاً أن تأخذ بأسباب الله ﷻ في كونه، ثمّ بعد ذلك تتوكّل بقلبك عليه ﷻ فهذا هو التّوكّل. فأنت تأخذ بالأسباب والسّبل الّتي حدّدها الله ﷻ لك

لكنّ المسبّب الحقيقيّ الّذي وراء الأسباب هو الله ﷻ الّذي تطمئنّ وتثق به ﷻ.

(الآية ١٢) – ﴿*وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾:

من هم بنو إسرائيل؟ هم بنو يعقوب عليه السلام، ويعقوب هو والد سيّدنا يوسف عليه السلام وقد آتاه الله ﷻ اثني عشر سبطاً من الأسباط، والسّبط هو الحفيد. ويعقوب هو من نسل إسحاق عليه السلام واسحاق أبوه إبراهيم عليه السلام.

الأسباط هم اثنا عشر سبطاً، وكلّ سبطٍ شكّل ذرّيّة كقبيلةٍ معيّنةٍ، لذلك عندما يقول المولى ﷻ: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أي ولكلّ سبطٍ نقيب، والنّقيب هو الّذي ينقّب عن الخفايا، ويقود العمل الإيمانيّ والدّينيّ الّذي لا يكتفي بظواهر الأمور، فأرسل الله ﷻ إليهم اثني عشر نقيباً.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾: هؤلاء النّقباء والأسباط قال لهم الله ﷻ: إنّي معكم أنصركم وأرحمكم وأغفر لكم وأدخلكم الجنّة.

﴿لَئِنْ﴾: اللّام للقسم، وإن: شرطيّة، أقسم الله ﷻ واشترط أن يكون معهم في حال: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم

بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾.

﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: وإقامة الصّلاة ليست كأداء الصّلاة، فإقامة الصّلاة بشروطها وأركانها بحضور القلب والخشوع عند الوقوف بين يدي الخالق ﷻ، وهي صلةٌ مع الخالق ﷻ وصلةٌ مع الخلق، أي أن تكون على كل القيّم الأخلاقيّة مع خلق الله الّتي جاءت بها كلّ الرّسالات السّماويّة.

﴿وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ﴾: الله ﷻ ينظّم الحركة الاقتصاديّة للبشر، وإيتاء الزكاة هي الرّكن الثّاني من أركان الإسلام، فالله ﷻ يريد أن تكون الزّكاة عملاً وليس أداءً، يقول ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون]، فعل الزّكاة أي أن تعمل على قدر استطاعتك وليس على قدر حاجتك، فإذا عملت على قدر استطاعتك وسعت النّاس بزكاة أموالك.

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾: وشعب بني إسرائيل قتل كثيراً من الأنبياء ولا بدّ من الإيمان بالرّسل فلا إيمان دون اتّباع.

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: العزر أي: المنع والردّ، أي تنصروهم وتمنعون وتردّون عنهم الاعتداء، وتوقّروهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: القرض الحسن هو القرض الّذي ليس فيه مَنٌّ ولا منفعةٌ ولا فائدةٌ للإنسان. وهنا قال: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ﴾ فأنت تتعامل مع الله ﷻ ولا تتعامل مع خلقه، فعندما تقرض أحداً من الخلق فكأنّك تتعامل مع الله ﷻ وتقرضه، والله ﷻ هو الغنيّ الّذي لا تنفد

خزائنه. والمراد هنا إقراضٌ في الصّدقات وفي العطايا الّتي يتوجّب على الإنسان أن يقوم بها تجاه الأرامل والمساكين والأيتام والفقراء والمحتاجين وذوي الحاجات في المجتمعات.

ويأتي جواب الشّرط: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: وهنا أمران اثنان: الأوّل هو تكفير السّيئات، والثّاني: هو إدخال الجنّة. ودائماً درء المفاسد مقدّمٌ على جلب المصالح، فالإنسان يدخل الجنّة برحمة الله ﷻ، لكن قبل دخول الجنّة سيكفّر عنه ما قام به من سيّئاتٍ في حال فعل ما قاله الله ﷻ في الشّرط الّذي هو: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي بعد أن تأتي كلّ البيّنات، وبعد أن يأتي الرّسل فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ الطّريق الّذي يؤدّي إلى جنّات الخلد.

(الآية ١٣) - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: لا يوجد حرفٌ في كتاب الله ﷻ إلّا وله دلالةٌ، فلو قال ﷻ: (فبنقضهم ميثاقهم لعنّاهم) لصحّت في اللّغة، لكن طالما أنّ

الكلام قرآنيٌّ فهو الكمال والتّمام، فالمراد هنا: بأيّ نقضٍ من أعمالكم نقضتم؟ أي نقضتم آلاف المرّات وليس مرّةً واحدةً. فلو قال المولى ﷻ: (فبنقضهم ميثاقهم) لكان نقضاً واحداً للميثاق، أمّا هنا فالمراد: بكثرة ما نقضتم ميثاقكم؛ لذلك انتبه لنقطةٍ مهمّةٍ في القرآن الكريم، وهي أنّ الحرف في كتاب الله ﷻ يُعطي معنىً ونحن نعتقد أنّه حرفٌ زائدٌ، ولا يوجد شيءٌ زائدٌ في القرآن الكريم على الإطلاق، ونأخذ المثال الآتي: يقول المولى ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: من الآية ١٧]، وفي آيةٍ أخرى يقول ﷻ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشّورى]، والفارق وجود اللّام ﴿لَمِنۡ﴾ ولا يوجد تكرار في القرآن؛ لأنّ المراد من الآية الأولى: واصبر على ما أصابك من موت حبيبٍ أو مرضٍ أو ما شابه، فليس هناك غريمٌ لك فيما يُصيبك، أمّا الآية الثّانية: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ توجد كلمة (غفر) أي يوجد غريمٌ، وهناك من آذاك، لذلك الصّبر هنا بحاجةٍ لتوكيد، فجاءت لام التّوكيد: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ﴾: ويقول الله ﷻ في آيةٍ أخرى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة]، إذاً نقضُ الميثاق هو الّذي أدّى للّعن، وقلنا سابقاً: إنّ الميثاق إمّا أن يكون ميثاق الذّرّ الّذي أخذه الله ﷻ علينا ونحن في صلب آدم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، وكيف كان هذا الميثاق؟ لا ندري، ولكن يكفي أنّ المولى ﷻ أخبرنا عنه، والميثاق الثّاني هو ميثاق الإيمان، ونقض الميثاق لبني إسرائيل أنّهم اعتدوا وكذّبوا وقتلوا الأنبياء... وأفسدوا في الأرض وفعلوا الكثير، وهذا فعل الصّهاينة وشعب بني إسرائيل كما ورد في كتاب الله ﷻ.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: القلب هو مضخّةٌ تضخّ الدّم حتّى فترة عقدين من الزّمن على شكل نبضات، ولكنّنا نتفاجأ أنّ القرآن الكريم يتحدّث عن القلب بعكس ذلك فيقول عن القلب: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، ولم يقل: لمن كان له عقل، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، ولم يقل: أم على عقولٍ أقفالها، ويقول النّبيّ ﷺ: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب**»(١)، أنت تظنّ أنّه العقل؛ لأنّ العقل والدّماغ أساس كلّ شيء. والنّبيّ ﷺ يقول: «**إنّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون**»(٢)، إذاً القلب ليس مجرّد مضخّةٍ، بل يجزع ويتدبّر ويعقل، وهنا جاءت الآية: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم (٥٢).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب قول النّبيّ ﷺ: «إنّا بك لمحزنون»، الحديث رقم (١٢٤١).

كانوا يقولون: إنّ القلب عضلةٌ تضخّ الدّم لعقدين من الزّمن، وفاجأ العالم أحد كبار العلماء الغربيّين عندما قال: إنّ القلب هو مركزٌ فيه أكثر من أربعين ألف مركزٍ عصبيّ، وهذه المراكز والخلايا العصبيّة تسمّى مخّ القلب، وهي التي تبعث العواطف والمشاعر والأحاسيس، وكلّ ما يتعلّق بالجسم مركزه في مخّ القلب. هذا المعنى فاجأ العالم، حتّى المتشدّدين في التّطرف اللّا دينيّ والّذين لا يؤمنون بالله ﷻ، ويمجّدون العقل فاجأهم بأنّ القلب هو الّذي يعقل وليس العقل، وهو الّذي ينقل المعلومات المطلوبة، وعندما نقلوا قلب شخصٍ لشخصٍ آخر، تغيّر الشّخص وكأنّه صاحب القلب الّذي نُقِل منه القلب، فهذه الأربعين ألف خليّةٍ عصبيّةٍ الموجودة في القلب هي المسؤولة عن الأحاسيس والمشاعر و...، فأنت تعقل بالقلب، وتحبّ بالقلب، والقلب يقسو ويلين، والقلب يحسّ ويعمى، كما ورد في القرآن الكريم، وكما جاء في سنّة النّبيّ ﷺ، وكانت هذه من المعجزات الحديثة الّتي حدثت لتقول للنّاس: إنّ العقل ليس هو المسؤول إنّما القلب.

وقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: فالله ﷻ جعل قلوبهم قاسيةً، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، يقول النّبيّ ﷺ: «**إنّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت، فذلك الرّان الّذي ذكره الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾**» [المطفّفين][1]، لم يقل: في عقله، بل في قلبه نكتة سوداء،

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الزّهد، باب ذكر الذّنوب، الحديث رقم (٤٢٤٤).

فالله ﷻ ران على قلوبهم وليس على عقولهم.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: من أكثر ما قام به اليهود تحريف الكلم عن مواضعه، وهذا خطرٌ في الشّرائع السّماويّة، والتّحريف إمّا تحريف كلام الله ﷻ، أو تحريف معناه عند تفسيره كما فعل أعداء الإسلام المتطرّفين حيث قتلوا باسم الآيات القرآنيّة، والقرآن الكريم قد نهى عن القتل، ولا يمكن أن نبتر آيةً من آيات القرآن الكريم ونقول: إنّ هذه الآية هي حكمٌ شرعيٌّ، بل لا بدّ أن تعود إلى كلّ ما يتعلّق بالقرآن الكريم من أسباب النّزول، ومن أحكام اللّغة العربيّة، ومن قواعد التّفسير، ومن أفعال النّبيّ ﷺ وسيرته، ومن أصحابه كيف فهموا الآية.. فتحريف الكلم عن مواضعه له الكثير من الأبواب.

﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: أي ممّا نزل عليهم من التّوراة، والنّسيان هو من باب عدم القدرة على الاستيعاب، أو عدم الاهتمام، وهذا النّسيان يؤدّي إلى الكتم، وهذا الكتم يؤدّي إلى التّحريف كما حرَّف اليهود التّوراة؛ لأنّ النّسيان هنا ليس بالشّكل الّذي نظنّه، بل هو دليلٌ على عدم الاهتمام، وبشكلٍ عامٍّ كلّ الرّسالات السّماويّة نزلت من عند الله ﷻ فيجب على الإنسان أن يهتمّ بما أنزله ﷻ حتّى لا ينسى.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: عندما ذهب النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى بني النّضير وجاؤوا بصخرةٍ ليرموها عليه، أخبره جبريل عليه السلام بذلك فاطّلع على خياناتهم، فالله ﷻ أطلعه على الخيانة من

بني النّضير، لكن هناك خياناتٌ كثيرةٌ، لذلك قال ﷻ: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ أي قليلاً منهم لم تطّلع ولن تطّلع على خيانتهم وتدبيرهم ومكرهم وتآمرهم عليك يا رسول الله. ورغم أنّ الحديث عن محاولة قتل النّبيّ ﷺ فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ ما الفرق بين: ﴿فَٱعْفُ﴾ وبين: ﴿وَٱصْفَحْ﴾ يطالب الله ﷻ النّبيّ ﷺ بالعفو، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤]، لكن هناك فارقٌ بين العفو والصّفح، العفو هو أن تعفو عن فلانٍ حين يجني عليك بجريمةٍ أو اعتداءٍ، أي أبطلت الأثر الّذي تريد أن تردّه على جريمته، أمّا الصّفح فهو من القلب، أي أن تمحو هذا الفعل من القلب، لذلك قال ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: إذاً المحسنون هم الّذين يعرفون معنى الصّفح، فقد يعفو الإنسان ولكن لا يصفح، ولكن المحسن هو الّذي يعرف قلبه العفو، ويمكن أن يمحو هذا الأثر من نفسه فتنقلب كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصّلت: من الآية ٣٤].

(الآية ١٤) – ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾: إذاً قسمٌ منهم قالوا بألسنتهم: إنّهم

نصارى، ولم يكن وقوفهم إلى جانب السّيّد المسيح عليه السلام ونصرتهم له هو مصداق الكلام للفعل، ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به ممّا نزل عليهم.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: ما الفارق بين العداوة والبغضاء؟ العداوة تكون نتيجة عداءٍ بين فريقين أو شخصين، أمّا البغضاء فقد تبغض إنساناً وهو لا يدري، فليس بالضّرورة أن يكون لها مقابل. فعندما تركوا المواثيق الّتي أُخذت عليهم ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به، أي خالفوا ما نزل إليهم وما جاء به المسيح عليه السلام، أوقع الله سبحانه وتعالى بينهم العداوة والبغضاء فصاروا فرقاً مختلفة.

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: وذلك يوم القيامة، يوم توضع الموازين وتنشر الصّحائف.

(الآية ١٥) - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: والمقصود هو النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: اليهود أخفوا كثيراً من الأحكام، والنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بيّن لهم ما كانوا يخفون من التّوراة مثل تحريم الرّبا والرّجم.. وغيرها من الأحكام.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾: الكتاب المبين هو القرآن الكريم، ومبينٌ أي واضحٌ، فإذا كانت هناك ظلمةٌ وأردت توضيح

وبيان الأمر تأتي بنورٍ لكي تبيّن وتوضّح، وهو ليس بنورٍ مادّيٍّ كالكهرباء، وإنّما هو نور القيم التي جاء بها القرآن الكريم، فالله ﷻ سمّى القرآن الكريم نوراً؛ لأنّه كتابٌ يبيّن وينير ظلمات النّفس وظلمات الأخلاق وظلمات القيم، وهذا النّور لا يمكن أن يكون مادّيّاً، وإنّما هو نورٌ معنويٌّ.

(الآية ١٦) - ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾:

الله ﷻ يهدي بالقرآن الكريم من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور، فنور القيم يتعلّق بالسّلام الدّاخليّ، والسّلام الدّاخليّ لا يعيشه الإنسان وهو محاطٌ بالغمّ والمصائب والابتلاءات، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة]، فالإنسان يرى الأب والأمّ والأخ والجار والصّديق ويعرف أنّهم سيموتون، لذلك يعيش في همّ داخليّ، وعندما يصيبه المرض يعتقد أنّه سيموت ويُلقى تحت التّراب، فيشعر بالغمّ، فهو دائماً يعيش في همّ المرض وفي همّ الرّزق، وإن كان ذا سلطانٍ فإنّه يعيش في همّ بقاء السّلطان، فحياته كلّها تدور ضمن دائرة الابتلاءات، ولا يستطيع أحدٌ أن يقول: أنا لن أموت، أو: لن أمرض، يقول ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد]، فكيف سيعيش الإنسان في حالة سلامٍ مع نفسه؟ وكيف سيعيش في نور المعرفة وفي نور القيم؟ والجواب: يجب عليه أن يعالج موضوع

الهمّ من خلال القيم، فالقرآن الكريم قضى على الهمّ والغمّ، فمن يقول: إنّه مؤمنٌ بالله ﷻ، عليه أن يأخذ بما علّمه ﷻ حتّى يصل إلى الإيمان الحقيقيّ به ﷻ ويعلم أنّه لا يضرّ ولا ينفع، ولا يخفض ولا يرفع، ولا يصل ولا يقطع، ولا يحيي ولا يميت إلّا الله ﷻ، ويعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولو أنّ الأمّة اجتمعت على أن ينفعوه بشيءٍ لن ينفعوه إلّا بشيءٍ قد كتبه الله ﷻ له، ولو اجتمعت على أن يضرّوه بشيءٍ لن يضروه إلّا بشيءٍ قد كتبه الله ﷻ عليه، إذاً الله تبارك وتعالى أعطانا النّور والهداية من خلال الكتاب الكريم، وإذا لم يستطع الإنسان التّغلّب على الهمّ فلن يستطيع أن يعيش في سلامٍ مع ذاته، ومن ثمّ لن يعيش في سلامٍ مع الآخرين، وسيكون شرّه أكثر من خيره للغير، ونحن نقول: إنّ دعوة الإسلام هي دعوة خيرٍ، والإيمان يغلب الهمّ ويجعل يقينك بالله وحده جلّ وعلا.

هناك سورةٌ في القرآن الكريم اسمها سورة (التّفاؤل) وهي سورة (الطّلاق)، هذه السّورة فيها ثماني جملٍ تتعلّق بسلام الإنسان مع نفسه ليقضي على أيّ همّ، ولو كان هذا الهمّ والغمّ يتعلّق بالصّحّة، أو الموت، وهذه الجمل الثّماني في سورة (الطّلاق) هي:

١- ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطّلاق: من الآية ١]، فمهما حدث معك من أمرٍ فاجعل هذه الآية شعارك في الحياة.

٢- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطّلاق: من الآية ٢]، عليك بتقوى

الله ﷻ، فكما جعل للهمّ وللمصيبة مدخلاً إليك، فهذه فلعلّ هذه تكون مخرجاً لك.

٣- ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطّلاق: من الآية ٣]، والرّزق ليس فقط في المال، بل يكون في الصّحّة وفي العلم و...

٤- ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطّلاق: من الآية ٣]، ضع حملك على الله ﷻ، فهو حسبك:

لا تدبّر لك أمراً فذوي التّدبير هلكى
سلّم الأمر إلينا نحن أولى بك منك

٥- ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطّلاق: من الآية ٣]، لا تستعجل فكلّ شيء بأوانه.

٦- ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطّلاق: من الآية ٤]، هذا النّور الذي يجعلك تعيش بسلام داخليّ.

٧- ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطّلاق: من الآية ٥]، هذا المصاب وهذا الهمّ هو رفع درجات وحطّ من الخطايا.

٨- ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطّلاق: من الآية ٧].

ألا تجعل هذه الآيات نوراً يدخل إلى القلوب؟ ألا تجعل الإنسان يُهدى إلى سبل السّلام؟ لو أنّ الإنسان اتّقى وآمن بالله ﷻ فسيجعل الله تبارك وتعالى له بهذه الكلمات الأنوار الّتي ترشده إلى السّلام الدّاخليّ والرّوحيّ.

﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: هذا هو الصّراط أقصر الطّرق المؤدّية إلى الله ﷻ وإلى جنّاته، قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير، وليس ذاك لأحدٍ إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**»[1]، فالإنسان يتقلّب بين الصّبر وبين الشّكر، والإيمان نصفان؛ نصفٌ صبر ونصفٌ شكر.

(الآية ١٧) - ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾:

فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام عبدٌ من عباد اللّه ﷻ، وخَلْقٌ من خلقه، ولو أراد الله ﷻ ﴿أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ فمن ذا الّذي يمنعه منه؟ وجميع الموجودات مِلْكُهُ وَخَلْقُهُ وهو القادر على ما يشاء جلّ وعلا، لا يُسأل عمّا يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته.

(الآية ١٨) - ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾:

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزّهد والرّقائق، باب المؤمن أمره كلّه خير، الحديث رقم (٢٩٩٩).

عندما يقول المولى ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ لا يعني هذا أنّ اليهود كلّهم أو النّصارى كلّهم قالوا هذا القول، بل جزءٌ منهم قال هذا، بدليل أنّ الله ﷻ يقول على لسان الرّجل المؤمن من آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر: من الآية ٢٩]، ومن المعروف أنّه من غير الممكن أن يكون الملك لكلّ القوم، بل يكون لبعض القوم، إذاً بعض اليهود والنّصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، والمولى ﷻ يقول: لا أنتم ستدخلون في مشيئة المغفرة ككل البشر.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾: فالبشر معرّضون إمّا لنفحات المغفرة وتكفير السّيّئات، وإمّا لنفحات العذاب على الذّنوب، ولن يستطيع أحدٌ أبداً أن يخرج عن مشيئة الله ﷻ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: وهنا تدلّ الآية على طلاقة مشيئته ﷻ؛ لأنّه طالما يملك ما بين السّماوات والأرض ويملك المصير والمآل، فله تبارك وتعالى الملك الكامل وطلاقة المشيئة في أن يعذّب أو أن يغفر لكلّ البشر دون استثناء، فلا يمكن أن نقول: نحن أحباء الله ﷻ ونحن كذا وكذا، كما قال اليهود وجعلوا من أنفسهم العنصر المميّز عن بقيّة الشّعوب، فقالوا: نحن شعب الله المختار، فكلّ البشر يخضعون إلى مشيئته جلّ وعلا، ويخضعون إلى العذاب والمغفرة منه تبارك وتعالى؛ لأنّه هو جلّ وعلا المالك والمتصرّف في السّماوات والأرض وما فيهما، وإليه المصير والمآل ﷻ.

(الآية ١٩) - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾: الرّسول هنا هو سيّدنا محمد عليه الصّلاة والسّلام، والخطاب هنا لأهل الكتاب.

﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: يعني على انقطاعٍ من الرّسل، وهو ما يُقارب ستّ مئة عام.

﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾: والبشارة تأتي للمستقبل، فالرّسول يبشّر بالجنّة، والجنّة تأتي لاحقاً بعد البعث والحساب، ونذيرٌ ينذر بعذاب النّار.

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: وكلّ شيءٍ يخضع لطلاقة قدرته ﷻ؛ لأنّه هو الخالق؛ ولأنّ أمره بين الكاف والنّون، ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨﴾ [غافر: من الآية ٦٨].

(الآية ٢٠) - ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠﴾:

﴿وَإِذۡ قَالَ﴾: أي حين قال سيّدنا موسى عليه السلام: ﴿لِقَوۡمِهِۦ﴾ أي لشعب بني إسرائيل: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: ويكون شكر النّعمة بذكرها والامتثال لأمر المنعِم وعدم استخدام نعمه في معاصيه، أمّا أن تأخذ النّعمة وتعصي المنعِم فهذا جحودٌ منك، والله ﷻ يعبّر عن النّعم المتعدّدة بكلمة نعمة.

﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾: أي كلّما جاءهم داءٌ أرسل لهم نبيّاً لمعالجتهم، فمن النّعم كثرة الأنبياء والرّسل على شعب بني إسرائيل منذ يعقوب عليه السلام وأبنائه إلى أن ختمهم الله سبحانه وتعالى بعيسى عليه السلام، ويقصد بالملوك داود وسليمان عليهما السّلام.

(الآية ٢١) – ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾:

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: أي المطهّرة.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: أي فرض عليكم أن تدخلوا هذه الأرض المقدسة، وهنا إرادة الدّخول إرادةٌ تشريعيّةٌ وليست إرادةً كونيّةً. ونستطيع أن نمثّل الإرادة التّشريعيّة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: من الآية ٩٧]، فهذه تشريعيّةٌ بدليل أنّ أحداثاً كثيرة تقع داخل الحرم، كحالات السّرقة، والمقصود هنا: عليكم أن تؤمّنوا من يدخل إلى الحرم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: فإنّ المولى عزّ وجلّ لو كتبها لهم لما كان لهم أن يرتدّوا على أدبارهم؛ لأنّه لا رادّ لمشيئته.

وهم خرجوا مع سيّدنا موسى عليه السلام الّذي طلب أن يدخل هذه الأرض، والله سبحانه وتعالى كتب عليهم تشريعيّاً أن يدخلوها، ولكنّهم رفضوا.

(الآية ٢٢) – ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾:

وكان الرّدّ أنّ فيها قوماً من الجبّارين الأقوياء، فرفضوا الدّخول حتّى يخرجوا منها، فهم يريدون أن يقطفوا الثّمار دون أيّ جهدٍ.

(الآية ٢٣) - ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾:

قال رجلان من الّذين يخافون الله ﷻ: إنّكم إن دخلتم عليهم الباب فستنتصرون بإذن الله ﷻ، ولا يمكن لأحدٍ أن يتوكّل على الله ﷻ إلّا إذا كان مؤمناً به ﷻ، والإيمان أن تعلم يقيناً أنّه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحديد]، وتعلم أنّك إن لم تتّخذ الأسباب فإنّك قد تواكلت ولم تتوكّل، والنّبيّ ﷺ يقول: «**اعقلها وتوكّل**»(١).

(الآية ٢٤) - ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾:

وهنا إساءة الأدب مع الله ﷻ عندما قالوا: اذهب أنت وربّك فقاتلا وعند انتصارك سندخل إليها.

(الآية ٢٥) - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾:

فهو لا يملك غير نفسه وأخيه، ويقول: يا ربّ افصل بيني وبين الفاسقين الخارجين عن طاعتك.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزّهد والرّقائق، باب المؤمن أمره كلّه خير، الحديث رقم (٢٩٩٩).

(الآية ٢٦) - ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾:

هذا دليلٌ على أنّها لا تحقّ لهم أبداً، وأنّها محرّمةٌ عليهم، قال العلماء: إنّها محرّمةٌ عليهم تحريماً دائماً وليس فقط أربعين سنة، ويسيرون على غير طريق الهدى، وكان معهم موسى وهارون اللّذان ماتا وهم تائهون.

(الآية ٢٧) - ﴿*وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾:

هذه الآيات تتحدّث عن قصّةٍ قرآنيّةٍ تحكي واقعةً كونيّةً، وعندما تحكي القصّة القرآنيّة واقعةً كونيّةً تكون مطابقةً للحقّ تماماً، وليست كالقصّة البشريّة الّتي تعتمد على الشّخصيّات والأحداث والزّمان والمكان، فالقصّة القرآنيّة توصّف الأحداث والشّخصيّات بالشّكل الصّحيح الّذي جاء في التّاريخ، ولكنّها تتمحور حول العقيدة والوظائف الإيمانيّة الّتي كانت من الرّسل صلوات الله عليهم، ومن الأقوام الّتي عاندتهم حتّى نستخرج السّنن الكونيّة الّتي أرادها الله ﷻ، فالمطابقة للواقع في القصّة القرآنيّة هي المطابقة الّتي نقول عنها: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: من الآية ٦٢]، القصص الحقّ المطابق للواقع بشكلٍ كاملٍ، وما جاء اكتشافٌ أثريٌّ حتّى الآن إلّا وأثبت دقّة وصحّة كلّ ما ورد في كتاب الله ﷻ حكايةً عن الأقوام السّابقين، ونحن أمام هذه القصّة القرآنيّة لأوّل الخلق وهما ابنا آدم عليه السلام:

﴿*وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾: كلمة التّلاوة من تلا يتلو تلاوةً، وهي القراءة بتمهّلٍ وترتيبٍ ووضوحٍ حتّى يرى فيها الحقائق، هذا هو الفرق بين تلا وقرأ.

﴿نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾: والنّبأ هو الخبر العظيم الّذي له أهميّةٌ كبيرةٌ، وذلك كقوله ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النّبأ]، فيكون المعنى: اتل عليهم يا محمّد وعلّمهم النّبأ عن ابني آدم بالحقّ.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: والحقّ: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتخلّف والمطابق للواقع.

﴿إِذۡ﴾: إذ: ظرف زمان، أي: حين.

﴿قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾: قربان: على وزن فُعلان، من التّقرّب، هذا القربان للتّقرّب من الله ﷻ، ومن المعلوم من السّنّة النّبويّة المطهّرة أنّ ابنَي آدم هما قابيل وهابيل.

﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾: تُقبّل مبني للمجهول، وقد ورد بالأحاديث الشّريفة أنّ قابيل وهابيل كلٌّ منهما قرّب قرباناً، وكان قربان هابيل كبشاً من أفضل ما لديه، بينما قدّم قابيل جزءاً سيّئاً من مزروعاته كقربان، وكانت تأتي صاعقةٌ أو نارٌ من السّماء على القربان المقبول فيتبيّن بأنّه تمّ تقبّله. فتُقبّل من هابيل ولم يُتقبّل من قابيل، فقال قابيل لهابيل: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾، فأجابه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، فكانت أوّل جريمةٍ على وجه الأرض في سفك الدّماء والقتل من قابيل لأخيه هابيل، وكان السّبب فيها الحسد، والحسد والحقد والضّغينة هم الأساس في بدء كلّ العداوات، والأساس في القتل، ورسول الله ﷺ يقول: «**من سنّ سنّةً حسنةً**

عُمل بها بعده، كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجره شيء، ومن سنّ سنّةً سيئةً كان عليه مثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1]، لذلك قال ﷺ: «**ما من نفسٍ تُقتل ظلماً إلّا كان على ابن آدم كفلٌ من دمها؛ وذلك لأنّه أوّل من سنّ القتل**»[2]، والسّبب هو الحسد، فهل الحسد والعين موجودان؟ والجواب: نعم، يقول النّبيّ ﷺ: «**العين حقّ**»[3]، أي الإصابة بها ثابتةٌ موجودةٌ ولها تأثيرٌ في النّفوس، وكذلك الحسد، فما هي الآليّة؟ هناك فارقٌ بين الحسد والعين، فالحسد يكون لأيّ إنسانٍ أعطاه الله ﷻ نعمةً من النّعم حتّى ولو لم يكن موجوداً أمامك، أمّا العين فلا تصيب إلّا إذا كان المعيون أمامك، فهل هذا الكلام ثابتٌ بشكلٍ علميٍّ؟ الأمر معقولٌ عقليّاً، وأيضاً علميّاً فهو ثابتٌ بشكلٍ قطعيٍّ، ومعظم النّاس يؤمنون بموضوع العين، فالقرآن الكريم بالنّص الواضح وليس فقط بالتّجريب بيّن ذلك للنّاس فقال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق]، إذاً هناك شرٌّ يقع على الإنسان من جرّاء الحسد.

كلّ العداوات قد تُرجى مودّتها إلّا عداوة مَن عاداك من حسد

فالحسد داءٌ قاتلٌ، وهو موجودٌ، وهذا الحسد يؤذي، وهو تمنّي زوال النّعمة عن الغير حتّى لو لم تعد عليك هذه النّعمة، مثال: تحسد غنيّاً ليفتقر

---

(١) سنن الدّارميّ: باب من سنّ سنّة حسنة أو سيّئة، الحديث رقم (٥١٢).

(٢) سنن التّرمذيّ: كتاب العلم، باب الدّالّ على الخير كفاعله، الحديث رقم (٢٦٧٣).

(٣) صحيح البخاريّ: كتاب الطّبّ، باب العين حقّ، الحديث رقم (٥٤٠٨).

حتّى لو لم تصبح غنيّاً، فهناك من يحسد النّاس على صحّتهم، وعلى سلطانهم... إلخ، والحسد يكون بين الأهل وبين الجيران وحتّى بين الإخوة، ويكون بين الدّول، وعلاجه يكون بقراءة المعوّذتين (الفلق) و(النّاس)، وبشكر المولى ﷻ على النّعم، أمّا العين فيجب أن يكون المحسود أمامك حتّى تصيبه العين، من النّاحية العلميّة قد يكون هناك مجالٌ مغناطيسيٌّ معيّنٌ أو إلكتروناتٌ أو إشعاعاتٌ تخرج من العين فتؤدّي إلى الإضرار بالمحسود، ويقال: إنّ هناك نوعاً من الثّعابين يجب عدم النّظر إليها؛ لأنّك إذا نظرت إليها ذهب بصرك، فالعين الّتي تُصيب بإشعاعٍ يؤدّي إلى الضّرر، وهذا ليس مستحيلاً علميّاً ولا عقليّاً، كالسّكّين إذا ضرب بها إنسانٌ إنساناً آخر تكون السّكّين وسيلةً، وكذلك الحسد والعين هما وسيلة، ويحدثان ضرراً، ولكن لا شيء يضرّ أو ينفع إلّا بقضاء الله ﷻ.

إنّها القضيّة الأولى على وجه الأرض الّتي أدّت إلى سفك الدّماء وكان سببها الحسد، فالله ﷻ تقبّل من هابيل ولم يتقبّل من قابيل؛ لأنّ هابيل كان تقيّاً قدّم أفضل كبشٍ عنده قرباناً ليتقرّب به إلى الله ﷻ، أمّا قابيل فقد قدّم أسوء ما عنده فلم يتقبّل الله ﷻ منه، فغضب على أخيه وهدّده بالقتل فأجابه هابيل بقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وكما قال ﷺ: «**إنّما الأعمال بالنّيات**»[1]، فالإنسان إن لم يتّقِ الله ﷻ فلن يتقبّل منه أيّ عمل.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (١).

(الآية ٢٨) - ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾:

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾: أي بالسّوء والشّر.

﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾: فليس السّبب هو ضعفٌ، وإنّما هو الخوف من الله ﷻ.

(الآية ٢٩) - ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾:

﴿تَبُوٓأَ﴾: أي تعود.

﴿بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾: هنا يوجد إثمان؛ الإثم الأوّل: إثمي؛ لأنّك تريد أن تقتلني، والإثم الثّاني: إثمك؛ لأنّك غير متّقٍ لله ﷻ ولم تقبل بأوامره، وقدّمت أسوء ما عندك قرباناً له.

﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾: كيف عرف هابيل أنّ أخاه سيكون من أصحاب النّار، وذلك جزاء الظّالمين؟ لأنّه ظلم نفسه أوّلاً، وظلم أخاه ثانياً، وقد عَلِم ذلك من أبيه آدم عليه السلام.

(الآية ٣٠) - ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾:

رغم هذا الزّجر من هابيل لقابيل طوّعت له نفسه قتل أخيه، ولا يقال: طوّعت، إلّا اذا كان متأبيّاً على ذلك، أي كانت نفسه متأبيّةً على أن تقتل أخاه، لكنّه طوّعها فقتله؛ لأنّ الشّكل الطّبيعيّ أنّ الفطرة تأبى

ذلك، فاستخدم القرآن الكريم هذه الكلمة بدقّةٍ: ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾، فبمجرّد أن قتله: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، خسر الدّنيا والآخرة بعد ذلك.

(الآية ٣١) - ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾:

﴿يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي يحفر في الأرض.

﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾: السّوءة تأتي ممّا يسيء للنّفس، وسوءة أخيه أي جثّة أخيه.

﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾: وعندما رأى ما فعله الغراب وكيف دفن الغراب الآخر وطمره بالتّراب قال: يا ويلتى، وشعر بالنّدم والويل والثّبور.

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾: قال العلماء: هو لم يتب، إنّما ندم على الفعل؛ لأنّه لم يستطع أن يواري سوءة أخيه حتّى رأى ما فعله الغراب، هذه القضيّة هي قضيّة القتل الأولى على وجه الأرض وسببها الحسد.

(الآية ٣٢) - ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَۛ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾:

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾: من جرّاء هذه الجريمة البشعة.

﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: ما بين قابيل وهابيل وبين بني إسرائيل فترات زمنيّة طويلة، ويوجد الكثير من الأنبياء، فلماذا قال ﷻ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؟ والجواب: أنّ الله ﷻ كتب على كلّ البشر: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، وقد مرّت عصورٌ ودهورٌ من الأزمان بين قابيل وهابيل وبين شعب بني إسرائيل، وكأن الله ﷻ يقول: إنّ بني إسرائيل هم قتلة الأنبياء، وهم أكثر النّاس قتلاً للبشر، لذلك خصّهم بالذّكر، وليس معنى هذا أنّ القتل لا يوجد إلّا عند شعب بني إسرائيل، وإنّما الأمر لكلّ البشر، وقف رسول الله ﷺ في حجّة الوداع وقال للنّاس جميعاً: «**فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربّكم، ألا هل بلّغت**»[1]، فالرّسالات السّماويّة كلّها لا تقبل بالاعتداء على النّفس البشريّة؛ لأنّه اعتداءٌ على صنعة الله ﷻ، والله ﷻ هو الخالق الّذي يحيي ويميت، وعندما تقتل فأنت تعتدي على حرمةٍ من حرماته ﷻ وهي الدّماء.

﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: ويفسّره قوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة]؛ لأنّ القاتل يُقتل، فإن لم يُقتل فسيشيع القتل في المجتمعات.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الحجّ، باب الخطبة أيّام مِنى، الحديث رقم (١٦٥٤).

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لأنّ الفساد في الأرض هو قتلٌ للأنفس البريئة أيضاً.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: قتل النّاس جميعاً؛ لأنّه عندما قتل جرّأ النّاس على حرمة الدّماء والاعتداء على البشريّة، لذلك كان القصاص بالقتل.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: إن ساعدت مريضاً أو أنقذت إنساناً لمجرّد أنّه إنسانٌ فكأنّك أحييت النّاس جميعاً، وليس فقط هذا الإنسان.

هذا هو ديننا العظيم، الدّين الإسلاميّ الّذي يعطي الخير للغير، ويشيعُ الطّمأنينة والأمن والسّلام في المجتمعات، ويحرّم الاعتداء على النّفس البشريّة ويحثّنا على إحيائها، ويدفعنا لفعل الخيرات وإنقاذ الملهوفين والمحتاجين.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: البيّنات: هي الآيات الّتي تؤيّد حجّة الرّسول على من أُرسل إليهم. ولقد جاءت الرّسل للبشريّة جمعاء ولشعب بني إسرائيل أيضاً، فهم أكثر الشّعوب الّتي جاءها رسلٌ وأنبياء، وذلك لكثرة الأدواء لديهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: كثيراً وليس قليلاً، والمسرف: هو الّذي يتجاوز الحدّ، فهم تجاوزوا حدودهم مع أنّ كثيراً من الرّسل والأنبياء جاؤوهم بالبشرى والإنذار.

(الآية ٣٣) - ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: الحرب على الله ﷻ هي الاعتداء على سلطته ﷻ في التّشريع، وعلى الصّنعة الّتي صنعها والّتي هي الإنسان، فقانون صياغة الصّنعة هو للصّانع، والصّانع هو الخالق، والخالق هو الله تبارك وتعالى، أمّا بالنسبة للحرب على رسول الله ﷺ فهناك وصفان:

١- في حياته: عندما حاربه أعداؤه.

٢- بعد انتقاله ﷺ إلى الرّفيق الأعلى، فالحرب هنا هي الحرب على تشريع رسول الله ﷺ. ومن المعلوم وكما قلنا سابقاً: إنّ الله ﷻ منح الرّسول الكريم ﷺ سلطة التّشريع بالنّسبة للأحكام وبيان القرآن الكريم، وقد حصّن النّبيّ ﷺ هذا التّشريع بقوله: «**إنّ كذباً عليّ ليس ككذبٍ على أحد، من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار**»[1]؛ لأنّ كلام الرّسول ﷺ هو تشريعٌ، وهو كلامٌ يوحى، فلا نستطيع أن نفصل الرّسول عليه الصّلاة والسّلام عن الرّسالة، هذا أمرٌ مهمٌّ جدّاً، فالقرآن الكريم يعطي

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب ما يُكره من النّياحة على الميّت، الحديث رقم (١٢٢٩).

الأحكام الإجماليّة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: من الآية ٤٣]، ولكنّه لم يبيّن ما هي الصّلاة، وما أحكامها، وكيفيّة إقامتها وفرائضها وسننها...، وهذا ماحدّده الرّسول ﷺ.

ففي كلّ مجرى في حياة الإنسان بالنّسبة للمواريث والزّواج والطّلاق والحدود فعل الرّسول ﷺ وكلامه ونهيه هو تشريعٌ؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: من الآية ٩٢]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: من الآية ٧]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النّساء]، فأنت لا تستطيع أن تعبد الله ﷻ من دون الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فالحرب على الرّسول ﷺ هي أن تحارب ما جاء به، كسنّته ﷺ بأقواله وأفعاله وعلاقاته مع زوجاته وأصحابه وجيرانه وعلاقته مع النّاس من حوله وما أمر وما نهى وما سكت عنه وما أقرّه وما وافق عليه.. فكلّ هذا هو تشريع الرّسول ﷺ.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾: أضاف المولى ﷻ أمراً آخر، فجعل الّذي يفسد في الأرض كالّذين يحاربون الله ورسوله، والإفساد في الأرض إمّا أن يكون بالقتل أو السّرقة أو الاعتداء على الأعراض وحرمات النّاس، لذلك نرى أنّ المولى ﷻ غلّظ في موضوع الفساد وما يتعلّق به؛ لأنّه ﷻ

يحبّ المصلحين، فكلّ عمليّة إفسادٍ هي إفسادٌ لصنعة الله ﷻ، والله ﷻ إنّما يتقبّل العمل من المتّقين، وليس من المفسدين، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١﴾ [يونس: من الآية ٨١].

﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: هذا التّغليظ في الجزاء لمن يحارب الله ﷻ ويحارب رسوله ﷺ ويسعى في الأرض فساداً بأنّ لهم خزياً في الدّنيا وفي الآخرة عذابٌ عظيمٌ. والخزي: في اللّغة العربيّة إمّا استحياءٌ وإمّا فضحٌ، وهي تأتي بالمعنيين، فالإنسان يستحي من وراء الفضيحة، ومع الخزي والفضيحة في الدّنيا لهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ وهو عذاب جهنّم، ولكن دائماً باب التّوبة مفتوحٌ، وهذا من سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه.

(الآية ٣٤) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾: من قبل أن يقدر المجتمع على عقوبتهم نتيجةً لإفسادهم، فإن تابوا فإنّ المولى ﷻ هو الغفور الرّحيم، ومن أسماء الله ﷻ وصفاته جلّ وعلا أنّه يغفر الذّنوب ويرحم الإنسان ويدخله الجنّة برحمته ومغفرته، والنّبيّ ﷺ يقول: «**ما منكم مِنْ أحدٍ يدخله عملُه الجنَّة**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلّا أن يتغَمَّدني الله منه برحمة**»[1].

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب الشّين، شريك بن طارق بن سفيان، الحديث رقم (٧٢٢١).

(الآية ٣٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾:

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: وتقوى الله ﷻ هي الالتحام بمنهجه ﷻ، والخوف منه جلّ وعلا، وهي كلّ جوامع الخير الّتي أمر بها الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحجّ]، فدعوة الإسلام هي دعوة خيرٍ وعطاءٍ.

﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: الوسيلة هي الطّاعة والالتزام بالمنهج، ويقول النّبيّ ﷺ: «**إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثمّ صلّوا عليّ فإنّه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً، ثمّ سلوا الله لي الوسيلة فإنّها منزلةٌ في الجنّة لا تنبغي إلّا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشّفاعة**»[(١)]، وهنا يتبيّن أنّ الوسيلة تأتي أيضاً بمعنى المنزلة الرّفيعة في الجنّة وهي خاصّةٌ برسول الله عليه الصّلاة والسّلام، فلذلك عندما نسمع المؤذّن نصلّي على سيّدنا رسول الله ﷺ ونسأل الله ﷻ له الوسيلة: «**اللّهمّ ربّ هذه الدّعوة التّامّة والصّلاة القائمة آت محمّداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الّذي وعدته**»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الصّلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذّن لمن سمعه، الحديث رقم (٣٨٤).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الأذان، باب الدّعاء عند النّداء، الحديث رقم (٥٨٩).

وتأتي أيضا بمعنى التّوسّل، وهو أن يطلب الإنسان من ربّه حاجةً بجاه النّبيّ ﷺ أو الصّالحين أو عملٍ صالحٍ قدّمه، وهذا ثابتٌ بأدلّةٍ صحيحةٍ.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: الجهاد في التّعريف اللّغويّ: بذل الجهد، والله ﷻ يقول: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان]، أي بالقرآن الكريم، والجهاد هو بذل الجهد إن كان بالتّعليم أو حفر الأرض أوغيرها من الأمور، وهناك الجهاد القتاليّ: وهو للدّفاع بوجه من يعتدي علينا، وهو مسموحٌ به تحت سلطة وليّ الأمر ومنع الاعتداء.

والجهاد الّذي ورد هنا هو الجهاد بمعناه العامّ الّذي يتعلّق بالتّعلّم أي الكتابة، وبالكتيبة أي الدّفاع عن الوطن. والله ﷻ يريد أن نتقرّب إليه بما افترض علينا وليس أن نبتكر عباداتٍ كما نشاء، والله ﷻ يقول في الحديث القدسيّ: «**من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما تردّدت عن شيءٍ أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[1]، تقرّب إلى الله ﷻ بما افترضه عليك، فرض عليك الصّلاة فتقرّب منه بالصّلاة، فرض

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب التّواضع، الحديث رقم (٦١٣٧).

عليك الزكاة فتقرّب منه بالزكاة، وتقرّب من الله ﷻ بالنّوافل، والفلاح لا يأتي إلّا بالتّقرّب من الله ﷻ بما افترضه علينا؛ لأنّ الله ﷻ قال: «**وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه**».

(الآية ٣٦) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾:

الإنسان في هذه الحياة هو ساعاتٌ فقط، فمهما جمع وفعل فإنّ مسيرته ستنتهي بالموت، فهو يبني القصور ولكن لينظر إلى القبور، وليتذكّر أنّ كلّ ما يبنيه في هذه الدّنيا سيتركه ويموت، وأمّا المكان الّذي سيقيم به طويلاً فهو القبر، فليعمل لهذه المرحلة، فالّذين كفروا بالله ﷻ وخالفوه لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ليفتدوا به فلن يتقبّل منهم، والقرار الإلهيّ أنّ لهم عذاباً أليماً.

نسير إلى الآجال في كلّ لحظةٍ ... وأعمارنا تُطوى وهنّ مراحلُ
ولم أرَ مثل الموت حقّاً كأنّما ... إذا ما تخطّته الأمانيُّ باطلُ
وما أصعب التّفريط في زمن الصّبا ... فكيف به والشّيب للرّأس شاملُ
ترحّل من الدّنيا بزادٍ من التّقى ... فعمرك أيّامٌ وهنّ قلائلُ

إذاً مهما فعل الإنسان فإنّ العمر محدودٌ.

(الآية ٣٧) – ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾:

يتمنّون الخروج من النّار، ولكنّ العذاب مقيمٌ؛ أي لهم إقامةٌ دائمةٌ لا يفارقونها ولا تفارقهم إطلاقاً.

(الآية ٣٨) - ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾:

القرآن الكريم عربيٌّ، يقول ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]، وعند الوقوف على هذا النّصّ القرآنيّ نجد أنّ القرآن يخاطب هنا البشريّة كلّها وليس العرب فقط، والعروبة ليست حالةً عنصريّةً كما يقول بنو إسرائيل: إنّهم شعب الله المختار، فاللّغة العربيّة بالنّسبة لنا هي الوعاء الحضاريّ لكلّ الشّعوب الّتي انتمت للإسلام، وهي اللّغة المقدّسة؛ لأنّها الوعاء لكلام الله ﷻ، قال ﷺ: «**أحبّوا العرب؛ لأنّي عربيّ والقرآن عربيّ وكلام أهل الجنّة عربيّ**»(١)، واللّغة العربيّة فيها ميّزاتٌ كثيرةٌ، ومعانٍ كبيرة، نزل بها القرآن الكريم فهي مقدّسةٌ بقداسة كتاب الله ﷻ.

وهنا في قوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ تقدّم لفظ السّارق عن السّارقة، وأنهى الله تبارك وتعالى الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إنّ معظم من يقوم بالسّرقة هم رجالٌ، لذلك قدّم الذّكر على الأنثى، أمّا عندما قدّم الزّانية على الزّاني في قوله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النّور: من الآية ٢]؛ فلأنّ كلّ عمليّة زنا تبدأ بالإغراء.

---

(١) شعب الإيمان: باب في حبّ النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (١٤٣٣).

إنّ العقوبة بالنّسبة للسّرقة لا بدّ من تغليظها؛ لأنّ السّارق يسرق تعب وجهد الغير، ويجب علينا أن لا نفصل الجريمة عن عقوبتها، ولا الطّاعة عن ثوابها، فإنّ من منعك أن تسرق فقد منع غيرك بأن يسرقك، وهي حماية للمجتمع.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي عقوبةً وردعاً.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: قال الأصمعيّ: قرأت يوماً هذه الآية: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ...﴾ وإلى جنبي أعرابيّ فقلت: (والله غفور رحيم) سهواً، فقال الأعرابيّ: كلام مَنْ هذا؟ قلت: كلام الله، قال: ليس هذا بكلام الله، أَعِدْ، فأعدتُ وتنبّهت فقلت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، قال: نعم هذا كلام الله، قلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أنّي أخطأت؟ قال: يا هذا، عزَّ فحَكَمَ فقَطَعَ، ولو غفر ورحم لما قطع. فالله عزيز حكيم هنا؛ لأنّه يردع بالعقوبة.

عزيز: أي الّذي لا يغلب، وحكيم: فهو يضع التّشريعات التي تناسب لمنع هذه الجرائم.

(الآية ٣٩) - ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾:

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: جاءت هذه الآية بعد الآية المتعلّقة بعقوبة السّرقة، إذ لا بدّ من التّوبة، ولا يمكن للإنسان أن يسرق أو يزني ثمّ يقول: أتوب إلى الله بعدما أرتكب الذّنوب، فالتّوبة الصّحيحة الصّادقة لا

تُقبل من الإنسان إلّا بإصلاح ما أفسده، مع النّدم، وعدم مقارعة الإثم مرّةً أخرى، فهي: دعوةٌ متكرّرةٌ لإصلاح ما أفسد والكفّ عن الخطأ، والنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام يقول: «**كلّ بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التّوّابون**»[1]، والخطّاء هو الّذي يُكثر من الخطأ، وهذا من طبيعة بني آدم، وجاء حبيب بن الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنّي رجل مِقرافٌ، قال: «**فتُب إلى الله يا حبيب**»، قال: يا رسول الله، إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: «**فكلّما أذنبت فتب**»، قال: يا رسول الله، إذاً تكثر ذنوبي، قال: «**عفو الله أكبر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث**»[2]، المهم بالنّسبة للأعمال بالشّريعة الإسلاميّة هو النّيّة، فعند ارتكاب الخطأ لا بدّ من تحقيق العقوبة، ولا بدّ من التّوبة وإصلاح ما أُفسِدَ، فإن كانت التّوبة صادقةً وعاد الإنسان وأخطأ فباب التّوبة مفتوحٌ باستمرارٍ، أمّا التّوبة مع وجود النّيّة بالعودة إلى الخطأ فهذه ليست بتوبة؛ لأنّه لا يمكن لأحدٍ أن يحتال على علم الله ﷻ ولا على قدرته.

﴿وَأَصۡلَحَ﴾: لا بدّ من إعادة الشّيء المسروق إلى أصحابه، فإن لم يستطع فعليه أن يؤدّي لصاحبه ثمنه، أو يعدّه كالدّين ويوثّق حقّ صاحبه بعقدٍ، وتوثيق الحقوق أمرٌ ضروريٌّ في الإسلام حتّى لا تضيع. ومن يرتكب

---

(١) المستدرك على الصّحيحين: ج ٤، ص ٢٧٢، الحديث رقم (٧٦١٧).

(٢) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ج ١٠، الحديث رقم (١٧٥٣١)، ومِقراف: صيغة مبالغة من قارف: يُقال: قارف الخطيئة: أي خالطها.

جرماً لا يمكن إصلاحه، فعليه التّوبة الصّادقة والنّصوحة لله تبارك وتعالى وعدم مقارعته للإثم، ولكن إن كان فيه ضررٌ على الغير أو ظلمٌ للغير فلا بدّ أن يتحلّل من جريمته وذنبه مع الغير، وعندها يتوب الله جلّ وعلا عليه، وإن لم يحقّق شروط التّوبة فلن يتوب الله ﷻ عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: والتّوبة تكون للجاني والرّحمة للمجني عليه.

(الآية ٤٠) – ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: هذا استفهامٌ تقريريٌّ، وجوابه أن تقول: بلى، أعلم.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فكلّ ما في الدّنيا هو ملكٌ لله ﷻ.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: قدّم الله ﷻ العذاب على المغفرة، ودوماً تأتي رحمة الله ﷻ ومغفرته قبل عذابه ﷻ، ولكن هنا قدّم الله تبارك وتعالى العذاب على المغفرة؛ لأنّ التّعقيب كان على جريمة السّرقة، فعند ارتكاب الجرم يأتي العذاب أوّلاً ومن ثمّ المغفرة، والغاية هنا ليست هي القطع، بل الرّدع عن ارتكاب الجريمة.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: مشيئة الله ﷻ مطلقةٌ، وهو ﷻ قادرٌ على كلّ شيءٍ، وهو تبارك وتعالى قادرٌ على أن يعذّب من يشاء وقادرٌ على أن يغفر لمن يشاء، وكلّ شيءٍ خاضعٌ لملكيّة الله تبارك وتعالى وقدرته وعلمه.

(الآية ٤١) - ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١﴾:

كلّ الأنبياء خوطبوا بالاسم، إلّا النّبيّ محمد ﷺ فقد ذكره الله ﷻ بصفته كقوله ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: من الآية ٦٤]، ولم يقل: يا محمد، بينما عند خطاب الأنبياء قال ﷻ: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: من الآية ٣٥]، ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: من الآية ٤٦]، ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ [هود: من الآية ٧٦]، ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٤]، ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٥]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾ [مريم]، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: من الآية ١٢]؛ لأنّ النّبيّ محمّد ﷺ هو الرّسول الخاتم؛ ولأنّ الرّسالة الّتي جاء بها هي الرّسالة الخالدة إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، وهذا مقامٌ عظيمٌ لرسول الله ﷺ أنّ الله ﷻ لا يخاطبه باسمه مباشرةً.

﴿لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾: المولى ﷻ يريد أن يسلي قلب النّبيّ ﷺ الّذي مُلِئ حزناً لعدم إيمان أيّ شخصٍ من الكفّار الّذين كانوا يتقلّبون في الكفر والضّلال، فلذلك عندما خرج إلى الطّائف وأغرت ثقيف غلمانها فضربوه بالحجارة قال ﷺ: «**اللّهمّ إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي وهواني على النّاس، أنت أرحم الرّاحمين، إلى من تكلني؟! إلى عدوٍّ يتجهّمني؟ أم إلى قريبٍ ملّكته أمري؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي**»[1]، وعن عروة أنّ عائشة ﵂ زوج النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام حدّثته أنّها قالت للنّبيّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ أشدّ من يوم أُحُد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثمّ قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أُطبِق عليهم الأخشبين؟ فقال النّبيّ ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به**

---

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: كتاب المغازي والسّير، باب خروج النّبيّ ﷺ إلى الطّائف وعرضه نفسه على القبائل، الحديث رقم (٩٨٥١).

شيئاً»[1]، فالنّبيّ ﷺ كان يحزن عندما يرتكب النّاس الموبقات والمعاصي.

وفي قوله ﷻ: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ لفتةٌ بلاغيّةٌ، فهناك فرقٌ بين (إلى) و (في)، فحرف الجرّ يختلف به المعنى، فلو كانت العبارة: (يسارع إلى الكفر): فهذا يعني أنّه كان مؤمناً، أمّا (يسارع في الكفر): أي يزداد في كفره عمقاً.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: هنا يوجد فريقان: الأوّل هم المنافقون، والثّاني هم اليهود؛ لأنّ المنافقين هم الّذين قالوا: آمنا، بأفواههم، وهم الّذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وهم أشدّ خطراً على رسول الله ﷺ وعلى الأمّة الإسلاميّة.

فقد تقول: أسلمت، فهذه باللّسان، وأمّا أن تقول: آمنت، فهذه المقولة لها موجباتٌ ووظائفٌ، فوظائف الإيمان الطّاعة الكاملة لمنهج الله، تبدأ من أعلاها وهو قول: لا إله إلا الله، وتنتهي بإماطة الأذى عن الطّريق؛ لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق**»[2]، فكلّ عملٍ خيّرٍ هو من مثبّتات الإيمان بالله ﷻ، فكيف تقول: آمنت، وأنت تكذب أو تسرق؟ فهذا لا يصحّ.

---

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: كتاب المغازي والسّير، باب خروج النّبيّ ﷺ إلى الطّائف وعرضه نفسه على القبائل، الحديث رقم (٩٨٥١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

إذاً من الّذي يُسارع في دركات الكفر؟؟ هم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

الّذين هادوا: أي اليهود.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾: سمّاع: أي أنّ مهنته التّجسّس والاستماع، وهنا أتت: أنّهم سمّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك، إذاً هؤلاء يسمعون وينصتون ويؤمنون بقومٍ آخرين، وهم زعماء اليهود، كانوا يأبون الجلوس في مجالس الرّسول ﷺ، فيرسلون أناساً من اليهود أقلّ منهم لتكون مهنتهم الاستماع إلى رسول الله ﷺ لنقل حديثه إليهم لكي يحرّفوه، فالهدف من الاستماع والتّجسّس على رسول الله ﷺ هو تحريف كلامه.

﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾: يقولون: ما وجدتم من كلامٍ ممكن تحريفه فخذوه، أمّا غيره فاتركوه.

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾: الفتنة هي الاختبار، والله ﷻ يريد أن يختبر النّاس في هذه الحياة، والفتنة تأتي أيضاً بمعنى: إضلالهم. والمولى ﷻ يريد فتنتهم ويريد ألّا يطهّر قلوبهم، فما هو ذنبهم؟ والجواب: أنّه عندما يختار الإنسان الطّريق السّيئ فالله ﷻ هو الّذي جعل له حريّة الاختيار، فهو لم يخرج عن إرادته، فعندما يقول: أراد الله، فهو لا يخرج عن إرادته ولكن له أن يختار، وبعلمه الكاشف يعلم ﷻ ما سيختاره الإنسان، وسيسأله ﷻ عن عمله ولن

يسأله عن علمه ﷻ. فالإنسان مخيّر بكلّ ما يتعلّق بإرادته، وهذه الإرادة لا تعفيه من المسؤوليّة؛ لأنّ الله ﷻ بيّن له طريق السّوء من طريق الخير.

﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: الخزي في الدّنيا: هو الفضيحة.

(الآية ٤٢) - ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾: أي أنّهم اعتادوا أكلَ الحرام، والسّماع للكذب والتّجسّس والتّحريف للكلام، فإن جاؤوك يا رسول الله فلك الخيار إمّا أن تحكم بينهم أو تعرض عنهم، فإن أعرضت فلن يضرّوك؛ لأنّ الله ﷻ حافظك من النّاس، وإن حكمت فاحكم بينهم بالعدل ولو كانوا أعداءك، والعدل بالنّسبة للإسلام هو الأساس، والله تبارك وتعالى يحبّ التّوّابين ويحبّ المقسطين والمحسنين، ولا يحبّ الظّالمين.

(الآية ٤٣) - ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾:

هذه الآية تتبع الآية السّابقة، فعند قول الحقّ ﷻ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ﴾، فترك المولى ﷻ للنّبيّ ﷺ الخيار في أن يحكم بينهم بما في التّوراة، أو أن يُعرض عنهم ولا يُعطي أيّ حكمٍ.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾: أي كيف يرضاك حكماً من لم يؤمن بك.

﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾: التّوراة غير المحرّفة التي وردت فيها أوصاف النّبيّ ﷺ.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾: يعرضون بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، فقد كانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ ليأخذوا بعض الكلام ويحرّفوه عن مواضعه كما جاء في الآيات السّابقة، أو أنّهم يريدون حكماً مخفّفاً لحكم الزّنا أو بعض الأحكام الشّرعيّة الّتي وردت في التّوراة، ويأخذون من رسول الله ﷺ ما يحتالون به على شرع الله ﷻ. والله ﷻ يقول في تذييل الآية: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فهم كاذبون وليسوا بمؤمنين؛ لأنّ المؤمن هو الّذي يأخذ بما أنزل الله ﷻ ويتّبع ما يحكم به رسول الله ﷺ، يقول الله جلّ وعلا في القرآن الكريم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النّساء]، يقسم ﷻ بذاته العليّة، وأصعب قضيّة بين النّاس هي الشّجار، ولكن حتّى الشّجار عليهم أن يحكّموك وأن يرضَوا بما حكمتَ به يا محمّد.

(الآية ٤٤) – ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾:

والهدى: هو الطّريق الموصل للغاية. فالتّوراة كتابٌ من الكتب

السّماويّة الّتي نزلت على موسى عليه السلام. والنّور: هو الّذي يكشف ظلمات الجهل ونور القيم؛ فالكتب السّماويّة إنّما جاءت بنور القيم الضّابطة لحركة الإنسان في المجتمع.

﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾: هذا هو الإسلام العامّ، فالله تبارك وتعالى أخذ صفة الإسلام على كلّ النّبيّين؛ لأنّهم كلّهم جاؤوا بالإسلام، والإسلام بالمعنى العامّ: هو الاستسلام لأوامر الله سبحانه وتعالى.

﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾: الّذين هادوا هم اليهود، والرّبانيّون هم المنسوبون إلى الرّبّ، والمنسوب إلى الرّبّ هو الّذي ينفّذ أوامره، والأحبار هم العلماء؛ فعلماء اليهود كانوا يسمّون بالأحبار.

﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: وهنا نلحظ الفرق الدّقيق في اللّغة العربيّة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ ولم يقل: حفظوا؛ لأنّ ﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ تعني أنّهم طُلِب منهم أن يحفظوا، وهم ضيّعوا وحرّفوا وبدّلوا، بينما لم يطلب الله سبحانه وتعالى من أمّة محمّدٍ صلى الله عليه وسلم أن يحفظوا القرآن الكريم، بل تكفّل هو بحفظه فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر]، فهناك مساران؛ مسار حفظ القرآن الكريم، ومسار اتّباع القرآن الكريم. فكلّما ازداد النّاس بعداً عن منهج الله سبحانه وتعالى ازداد القرآن الكريم حفظًا في كلّ العالم، حتّى أنّ الله سبحانه وتعالى سخّر غير المسلمين ليطبعوا القرآن الكريم، ونرى كثيراً ممّن لا يتّبعون أيّاً من آيات القرآن الكريم يعلّقون هذه الآيات القرآنيّة في منازلهم وسيّاراتهم ومكاتبهم وفي كلّ مكان، فالقرآن الكريم

محفوظٌ بأمر الله ﷻ، هذا هو الفارق؛ لأنّ القرآن الكريم آخر الكتب السّماويّة الّتي أنزلها المولى ﷻ على عبده ورسوله محمّد ﷺ. بينما بالنّسبة للتّوراة طُلب منهم أن يحفظوا، وهذا الأمر كما قلنا: أمرٌ تشريعيٌّ.

﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾: إذاً هم استحفظوا وكانوا على صحّته وصحّة ما نزل به شهود، ولكنّهم ضيّعوا وحرّفوا وبدّلوا.

﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾: الخشية: هي خوفٌ متوهّمٌ ممّن تظنّ أنَّه قادرٌ على الضّرر، لذلك قال ﷻ: لا تخشوا الناس؛ لأنّ الإنسان في الدّنيا يعتقد أنّ النّاس تضرّ وتنفع، وأنّ فلانًا يُعطي ويمنع، وأنّ فلانًا يعزّ ويذلّ، وأنّه إذا أخذ بسببٍ من الأسباب حصل على نتيجةٍ معيّنةٍ، وإذا ترك السّبب لم يحصل، وهذا صحيحٌ، فالخلق معلّقٌ بالأسباب الّتي أرادها الله تبارك وتعالى، لكنّ القلب يجب أن يتعلّق بالمسبِّب، وعندما يتعلّق القلب بالمسبِّب فلا يخشى إلّا الله ﷻ، ويرى حينها هذه الأسباب ضروريّةً ويرى الأخذ بها امتثالاً لأوامر الله ﷻ، ولكنّها ليست الفاعلة في حقيقة الأمر، وإنّما المسبِّب هو الفاعل الحقيقيّ.

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: سأقف عند هذه الآية قليلاً بسبب التّفسير المبتور والخاطئ لآيات القرآن الكريم الّذي يتمّ من قِبَل العصابات الإرهابيّة التّكفيريّة، ومن قِبَل كلّ من أراد أن يستثمر آيات القرآن الكريم في هذه الحياة لتحقيق مآرب سياسيّة، فالقرآن الكريم أجلّ وأعظم من أن يُستَثمر لغايات، وكما قلنا سابقاً: إنّ القرآن الكريم جاء

ببرامج ثابتة ولم يأتِ ببرامج متحرّكة، والبرامج السّياسيّة هي برامج متحرّكة بحسب الزّمان والمكان والظّروف والعادات والوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ والبيئة، إذاً البرامج السّياسيّة تكون متغيّرة، أمّا بالنّسبة للإسلام وبالنّسبة للقرآن الكريم فقد جاء بأحكامٍ وقيمٍ تضبط حركة المجتمع، وترك حريّة الاختيار بالنّسبة للبرامج الأخرى.

تذييل الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والّتي تليها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، كرّر المولى ﷻ، ففي المرّة الأولى قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وبعدها قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، والآية التي تليها: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾، إذاً تكرّرت ثلاث مرّات. وهنا في هذه الآية قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: ليس المقصود من هذه الآيات كما استثمروها واستغلّوها على الإطلاق، ودليلي على ذلك هو تعدّد تذييل الآيات حسب صدرها وما يتعلّق بها، هنا الأمر يتعلّق بتحريف التّوراة فجاء التّذييل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فإذا لم تعتقد بوجود الله ورددت الحكم على الله ﷻ فهذا يكون من أبواب الكفر، فأنت تخطّئ الله ﷻ فيما حكم، وهذا هو الفارق بين إبليس الملعون وبين آدم عليه السلام، فإبليس ردّ الحكم على الله ﷻ فطُرد من رحمته ﷻ، بينما آدم عليه السلام لم يردّ الحكم على الله ﷻ، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[الأعراف: من الآية ١٢]، لذلك قال عنه الله ﷻ: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾. فمن يردّ

الحكم على الله ﷻ فهو مُنكرٌ لوجوده ﷻ، فلا علاقة لهذه الآية على الإطلاق بالبرامج السّياسيّة والعصابات وبما يقولون، وإنّما تتحدّث عن الإنسان حين يردّ الحكم على الله ﷻ، ويقول هذا الأمر غير صحيحٍ، مثال: الله ﷻ حرّم الزّنا، فمن ردّ الحكم وقال: بأنّ الزّنا حلالٌ، فهو أحلّ ما حرّم الله ﷻ، وخطّأ الله ﷻ فيما يقول.

(الآية ٤٥) - ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾: فإذا قتل شخصٌ شخصاً، فإنّه يُقتل.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: الجروح متعدّدةٌ في كلّ أنحاء الجسم.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾: أي عفا.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فإن حدثت مشكلةٌ بين شخصين فأخطأت بالحكم، أو لم تحكم بأنّ النّفس بالنّفس أو العين بالعين أو الأنف بالأنف أو الأذن بالأذن أو السنّ بالسنّ، فهذا يُعدّ ظلماً؛ لأنّك تحكم بين شخصين في مشكلةٍ بينهما، أمّا الموضع الثّالث الّذي ذُكر فيه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾، فإذا لم يصلّ الإنسان أو كذّب أو ارتكب موبقةً من الموبقات، فإنّه لم يردّ الحكم

على الله ﷻ؛ لأنّه مقرٌّ بأنّها ذنب، ولكنّه تحرّأ عليه، فهذا فسوقٌ، فحسب صدر الآية يأتي التّذييل لها مختلفاً.

(الآية ٤٦) – ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾:

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أي أتبعنا، فقد جاء سيّدنا عيسى ابن مريم عليه السلام بعد سيّدنا موسى عليه السلام.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: وكلّ الرّسالات تأتي مصدّقةً لما قبلها؛ لأنّها من لدن ربٍّ واحدٍ، قال ﷻ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشّورى: من الآية ١٣]، فالعقيدة واحدة.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: لماذا كرّر وصف الإنجيل بأنّه هدى؟ الإنجيل أوّلاً فيه هدى ونورٌ، وكلّ الرّسالات فيها هدى، وهي الطّريق السّليم الموصل لمنهج الحقّ ﷻ، والنّور هو نور القيم الضّابطة لحركة الإنسان في المجتمع، وهو النّور الّذي ينير ظلمات المجتمع وظلمات النّفس.. إلخ.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: وصف الله ﷻ الإنجيل بأنّه موعظةٌ؛ لأنّه جاء بالرّوحانيّات، أمّا الأحكام فتُؤخذ من التّوراة، لذلك قال ﷻ: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

(الآية ٤٧) - ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾:

مرّ بالآيات السّابقة تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾، وبيّنا أن لا علاقة لها باستثمار الحركات الإرهابيّة للآيات القرآنيّة.

(الآية ٤٨) - ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: الخطاب هنا للنّبيّ ﷺ.

﴿بِالْحَقِّ﴾: والحقّ هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيّر، وطالما أنّه من الحقّ ﷻ فهو حقٌّ، ورسول الله ﷺ هو حقٌّ، نزل عليه القرآن الكريم.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾: إذاً هو مصدّقٌ لما بين يديه من الكتب السّماويّة السّابقة ومهيمناً عليها. والقرآن الكريم هو آخر الكتب السّماويّة، وطالما أنّه آخر الكتب فيجب أن يكون مهيمناً على كلّ ما سبقه لمعالجة كلّ الأدواء الّتي كانت عبر الأزمان، فهو أمينٌ وشاهدٌ وحاكمٌ على كلّ كتابٍ قبله.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾: فاحكم يا محمد بين النّاس، عربهم وعجمهم، أميّهم وكتابيّهم بما أنزل الله ﷻ إليك في هذا الكتاب العظيم.

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾: سأقف عند هذه الآية للرّدّ على الّذين يقولون: إنّنا لسنا بحاجةٍ إلى الدّين ولا إلى رجال الدّين أو رجال العلم، وينظرون إلى تصرّفات بعض من خرجوا عن منهج الله ﷻ أو ارتكبوا الجرائم ويعمّمون الأمر ويقولون: نحن لا نحتاج الآن إلى الدّين، والآيات واضحةٌ، فسنتحدّث عن موضوع القيم الّتي يضبطها الدّين في المجتمع، والسّؤال الّذي نطرحه، ما هي أهمّ علاقةٍ في المجتمع على الإطلاق؟ أيّ إنسانٍ لو تسأله: ما أهمّ شيءٍ في حياتك؟ ستكون الإجابة: الأسرة والأولاد، فالأبُ يتعب ويشقى لكي يبني ويؤمّن احتياجات أولاده، والأمّ كذلك تتعب وتحمل وتلد وترضع وتسهر، فأهمّ علاقةٍ في المجتمع هي علاقة الأبناء مع الآباء والأمّهات، لكن من دون الدّين كيف سيكون شكل المجتمع بالنّسبة لهذه القيم؟ فالعدل والمحبّة والبرّ بالوالدين والجيران قيمٌ إسلاميّةٌ.. ودائماً بناء الأجيال والعلم والحضارة كلّه يأتي من خلال علاقة الأب والأمّ مع الأولاد، فما الرّابط الّذي وضعه القرآن الكريم بالنّسبة للأب والأمّ؟ نبدأ بالأب، فالقرآن الكريم ضرب أمثلةً للعلاقة بين الآباء والأبناء، ففي قصّة طوفان سيّدنا نوح عليه السلام الّذي أطاح بالدّنيا كلّها خاطب ابنه قائلاً: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [هود: من الآية ٤٢]، وابنه كفر

فلم يستجب له: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود]، ونوح وأوّل نداء له: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ [هود]، وقصّة سيّدنا يعقوب مع ابنه يوسف، فهو لم يحزن عليه فقط، وإنّما: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف: من الآية ٨٤]، وعندما تحرّك يوسف من مصر وكان على بعد آلاف أو مئات الأميال: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤﴾ [يوسف: من الآية ٩٤]، ولقمان مع ابنه: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان]، وقصّة سيّدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي

ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصّافّات]، فتأمّل هذه العلاقة التي تربط بين الآباء والأبناء، ولنتذكّر قصّة الرّجل المُسِنّ الّذي جاء إلى النّبيّ ﷺ وكان قد شكاه ولده، فقد جاء رجلٌ إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ أبي أخذ مالي، فقال النّبيّ ﷺ: «**اذهب فأتني بأبيك**»، فنزل جبريل عليه السلام على النّبيّ ﷺ فقال: «**إنّ الله ﷻ يقرئك السّلام ويقول لك: إذا جاءك الشّيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه**»، فلمّا جاء الشّيخ قال له النّبيّ ﷺ: «**ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟**». فقال: سله يا رسول الله هل أنفقته إلّا على إحدى عمّاته أو خالاته أو على نفسي؟ فقال النّبيّ ﷺ: «**إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيءٍ قلته في نفسك ما سمعته أذناك**»، فقال الشّيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت شيئاً في نفسي ما سمعته أذناي، فقال ﷺ: «**قل وأنا أسمع**»، قال: قلت:

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلتُكَ يافعــاً ... تُعَلُّ بما أجني عليك وتَنهَلُ

إذا ليلةٌ ضافتك بالسّقمِ لم أَبِتْ ... لِسُقْمِكَ إلّا سَاهراً أتَمْلْمَلُ

كأنّي أنا المطروقُ دُونَكَ بالّذي ... طُرِقْتَ به دوني فعَيني تهملُ

تخافُ الرَّدى نَفْسِي عليكَ وإنّها ... لَتعلَمُ أَنّ الموْتَ وقتٌ مؤجّلُ

فلمّا بلغت السّنَّ والغايةَ التي ... إليها مَدى ما كُنْت فِيْكَ أُؤمِّلُ

جَعَلْتَ جَزائي غِلظةً وفَظاظةً كأَنّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفضِّلُ
فليتكَ إذ لَمْ ترعَ حقّ أُبُوّتي فَعَلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يَفْعَلُ
تراهُ مُعِدّاً للخلافِ كَأنّه بِرَدٍّ على أهْلِ الصّوابِ موكَّلُ

قال: حينئذٍ أخذ النّبيّ ﷺ بتلابيب ابنه فقال: «**أنت ومالك لأبيك**»[1]. هذه القيم من أين نأتي بها؟ هل ننظر إلى القيم الموجودة في الغرب وفي أمريكا؟ وهل نأتي بقيم الّذين يتخلّون عن آبائهم وأمّهاتهم ويضعونهم في دور العجزة؟! أو أنّنا ننظر إلى ما جاء في شرعنا عن الأمّ؟!

عن طلحة بن عبد الله، عن مُعَاوية بن جاهِمَةَ السَّلَمِيّ؛ أنّ جَاهِمَة جاء إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال: «**هل لك من أُمٍّ؟**»، قال: نعم، قال: «**فالْزَمها، فإنّ الجنّة تحت رجليها**»[2]، وكلّ آيات القرآن الكريم تدعو إلى البرّ بالأب والبرّ بالأمّ والإحسان للوالدين، قال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء]، فقرن البرّ بالوالدين بعبادته، ولا يكفي ألّا تقولَ لهما: (أفّ)، قال سيّدنا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: (لو علم الله كلمةً في العقوق أدنى من أفّ لحرّمها، فليعمل العاقّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنّة، وليعمل البارّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل النّار)، لماذا؟ لأنّه

(١) مجمع الزّوائد: كتاب البيوع، باب في مال الولد، الحديث رقم (٦٧٧٠).
(٢) المسند الجامع: ج٨، مُعَاوية بن جاهمة السَّلمِيّ، الحديث رقم (١١٥٨٨).

أرضى أباه وأمه؛ ولأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين**»[1]، هذه القيم من دون الدّين من أين سنأتي بها؟ أمّا من حرّف وبدّل واستثمر الدّين بشكلٍ غير صحيح فليعد إلى الدّين الحقيقيّ كما أنزله الله ﷻ، وكما جاء في آيات القرآن الكريم، فهذا هو الدّين الحقيقيّ، هذا هو الدّين الإسلاميّ، وهذه هي القيم الّتي يبثّها في المجتمع والّتي تؤدّي إلى رقيّه وحضارته.

(الآية ٤٩) - ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَّيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾:

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَّيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: وهنا تأكيدٌ لما تقدّم من الأمر بذلك. فقد كان اليهود يطلبون من رسول الله ﷺ أحكاماً مخففةً عن الحكم الشّرعيّ، ويحاولون الاحتيال على ما جاء في التّوراة وتحريفها.

﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾: أي احذر أعداءك اليهود أن يدلّسوا عليك الحقّ، فلا تغترّ بهم، فإنّهم كذبةٌ كفرةٌ خونةٌ.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: عمّا تحكم به بينهم من الحقّ، وخالفوا شرع الله ﷻ.

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾: فاعلم أنّ ذلك كائنٌ عن قدر الله ﷻ وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما عليهم من الذّنوب

---

(١) شعب الإيمان: الخامس والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في برّ الوالدين، الحديث رقم (٧٨٣٠).

السّالفة الّتي اقتضت إضلالهم ونكالهم.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾: كثيرٌ من النّاس خارجون عن طاعة ربّهم، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: من الآية ١١٦].

سبب النّزول: عن ابن عبّاس ﷺ قال: قال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلّنا نفتنه عن دينه! فأتوه، فقالوا: يا محمد، إنّك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنّا إن اتّبعناك اتّبعنا يهود ولم يخالفونا، وإنّ بيننا وبين قومنا خصومةً فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك، ونصدّقك! فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾، إلى قوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾.

(الآية ٥٠) - ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾:

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾: هناك فارقٌ بين الجاهل والأمّيّ، فالأمّيّ الّذي لا يعرف تعلّمه فتستقيم الأمور، أمّا الجاهل فهو يعرف قضيّةً مخالفةً للواقع ومخالفة للحقّ ويتشبّث بها، ولا يريد أن يتخلّى عنها مهما بيّنت له الحقّ، فهذا أصعب بكثيرٍ من الأمّيّ؛ لأنّ الأمّيّ يمكن أن تعلّمه وتصلح

حاله بالعلم أمّا الجاهل فلا، ولذلك يقول المولى ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، فهم تركوا التّوراة الّتي أنزلها الله ﷻ وأخذوا من أحكام الجاهليّة.

(الآية ٥١) – ﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾:

سبب النّزول: قيل: نزلت في عبادة بن الصّامت وعبد الله بن أبيّ ابن سلول؛ فتبرأ عبادة ﷺ من موالاة اليهود، وتمسّك بها ابن أبيّ وقال: إنّي أخاف أن تدور الدّوائر.

وكان هذا التّحذير الإلهيّ للمنافقين في المدينة المنوّرة الّذين كانت ولايتهم الحقيقيّة لليهود يصطفّون معهم ضدّ رسول الله ﷺ، وبالتّالي فموالاتهم انتماءٌ لليهود وليس للمسلمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لأنّهم ظلموا فلم يكن لهم هداية معونةٍ من الله ﷻ، أمّا هداية الدّلالة فهي لكلّ البشر.

(الآية ٥٢) – ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾:

يتابع المولى ﷻ الحديث عن اليهود وعن المشركين الّذين حاولوا بشتّى الوسائل وبشتّى الطّرق مواجهة الدّعوة الإسلاميّة الّتي دعت إلى الخير وإلى وحدة المجتمع، فكان اليهود دائماً هم أساس البلاء، وخرجت حركة النّفاق الخطرة في المجتمع التي يقودها عبد الله بن أبيّ ابن سلول في مجتمع المدينة

المنوّرة، هذه الحركة التي كانت أشدّ خطراً على المسلمين من مشركي مكّة نتيجةً لوجودها داخل الجسد المسلم في مجتمع المدينة المنوّرة.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: وهم المنافقون.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: المسارعة هي تقليل الزّمن في قطع المسافة الموصلة إلى الغاية، وهناك فارقٌ بين (يسارعون إلى) وبين (يسارعون في)، والمعنى هنا: يسارعون في نفاقهم وفي كفرهم وفي ضلالهم، بينما في قوله ﷻ: ﴿* وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٣]، وليس: (سارعوا في مغفرةٍ) بينما هنا الآية: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي أنّهم لم يكونوا يستغفرون ويسارعون إلى المغفرة، بل يتقلّبون في نفاقهم وفي كفرهم.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: القائل هو عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس النّفاق، والدّائرة: أي المصائب والبلايا.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾: عسى: تستخدم بمعنى الرّجاء، وعندما تأتي من القادر ﷻ فالأمر يكون محقّقاً، معناها أن الفتح سيأتي، فأنت كإنسان تقول: عسى أن يأتي فلان، وعسى أن أفعل كذا، وقد لا أستطيع أن أفعل، أمّا القادر الّذي يستطيع أن يفعل إذا قال: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ فهو رجاءٌ محقّقٌ. والفتح: هو حكم الله ﷻ بيننا وبينهم.

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾: فعندما يأتي حكم الله ﷻ الّذي يكشف نفاقهم، ويأتي بخذلانهم ونصرة الرّسول ﷺ والمؤمنين فعندها يصبحون على ما أسرّوا نادمين، ليس خشية من الله ﷻ؛ ولكن

لأنّهم يريدون المصلحة، فهم يخشون أن تصيبهم الدّوائر، فإذا جاءت المصلحة عند الرّسول ﷺ وعند المسلمين فعندها يندمون وينكشفون.

(الآية ٥٣) – ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾:

المنافق من شدّة نفاقه يريد أن يُعتِّم ويُغطّي على ازدواجيّته فيقسم بالله كذباً أنّه مع المؤمنين، فيقول الّذين آمنوا: أهؤلاء الّذين أقسموا بالله جهد أيمانهم؟ أي بتغليظ الأيمان، فأصبح المنافقون خاسرين عندما كُشِف أمرهم.

(الآية ٥٤) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾: أي يتراجع عن الإسلام، وجواب الشّرط: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ هذا احتياطٌ مناعيٌّ بأنّ الله ﷻ أخبر الرّسول ﷺ والمؤمنين بأنّ هناك من سيتراجع عن الإسلام، وفعلاً حدث ذلك في أيّام الرّسول الكريم ﷺ، كالأسود العنسيّ في اليمن الّذي تراجع عن الإسلام في ذلك الوقت وقُتل، ومسيلمة الكذّاب في عهد الرّسول الكريم ﷺ ارتدّ وادّعى النّبوّة، وقُتل في أيّام أبي بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه، وكذلك طليحة وسجاح في ذلك الوقت، إذاً الله ﷻ أعطى احتياطاً مناعيّاً فقال مسبقاً في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾، وهؤلاء المرتدّون لن ينقصوا المؤمنين؛ لأنّ الله ﷻ سوف يأتي

بقومٍ يحبّهم ويحبّونه، طالما أنّ الله ﷻ يحبّهم فمن الطّبيعيّ أنّهم يحبّونه، فهو جلّ وعلا يحبّ التّوّابين، ويحبّ المتطهّرين، إذاً الفعل من قِبَلك والمحبّة من الله تبارك وتعالى على عملك، وحسب العقل البشريّ كان بالإمكان أن تكون الجملة: (يحبّهم الله)، لكنّه قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وهذا دليلٌ على إعجاز القرآن الكريم، فبالعلم الكاشف يعلم ﷻ بأنّ هؤلاء سيكونون على تقوى وعلى صلاحٍ، وبأنّهم سيحبّون الله ﷻ فيحبّهم الله ﷻ.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: كيف يكونون بنفس الوقت أذلّةً وأعزّةً؟ والجواب: يكون ذلك عندما يكون الانفعال العاطفيّ حسب الأحداث وحسب الأشخاص، فعندما قال ﷻ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: من الآية ٢٤]، فهل يا ترى عندما تكون ذليلاً لأمّك وأبيك تكون قد فقدت عزّتك أم أنّ عزّتك قد ارتفعت؟ والجواب: هذا الذّلّ فيه عزٌّ لك، فالمؤمن يكون ذليلاً مع من يستحقّ ذلك، وهذا يحقّق له العزّة وليس العكس، ولكنّ المنافقين لا يعلمون.

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: وهذا ردٌّ على المنافقين، فالمؤمنون الصّادقون لا يخافون أن يعلنوا صراحةً وقوفهم إلى جانب الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وقد كان المشركون وأحبار اليهود في المدينة المنوّرة يلومون من يقف بجانب الرّسول ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: أن تكون محبّاً لله ﷻ وطائعاً له، وأن تقدّم الخير للنّاس، فذلك فضلٌ من الله ﷻ يؤتيه من يشاء، والله ﷻ يقول:

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٤]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٨]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾ [المائدة: من الآية ١٠٨]، فأنت ظلمت أو فسقت وخرجت عن الطّاعة، أو كفرت فلن يهديك الله ﷻ، وتكون أنت الّذي اخترت.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾: الله ﷻ عليمٌ بكلّ شيءٍ.

(الآية ٥٥) – ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾:

﴿وَلِيُّكُمُ﴾: الّذي يتولّاكم بالعناية والرّعاية والحفظ.

يكفيك أن يكون المولى ﷻ هو من يتولّاك بالرّعاية والعناية، وأن يكون إلى جانبك في أوقات شدّتك ومحنتك.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: والصّلاة عماد الدّين، من أقامها فقد أقام الدّين، ومن تركها فقد هدم الدّين؛ لأنّ الصّلاة هي صلةٌ مع الخالق، وخُلُقٌ مع الخَلق، والصّلاة لا تسقط في حالٍ من الأحوال، فمن لم يستطع قائماً فليصلِّ قاعداً، وإن لم يستطع قاعداً فليصلّ مستلقياً، وإن لم يستطع مستلقياً فليصلِّ بعينيه، ويقول ﷺ: «**العهد الّذي بيننا وبينهم الصّلاة، فمن تركها فقد كفر**»[1].

﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: إيتاء الزكاة هو ازدياد حركة النّاس من أجل الخير للغير، زدت من مجهودك ليزداد مدخولك، فتزداد حصّة المحتاجين من الزكاة.

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الإيمان، باب ترك الصّلاة، الحديث رقم (٢٦٢١).

﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾: الرّكوع هو الخضوع.

(الآية ٥٦) – ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾:

من يتولّ الله ورسوله حتماً هو الغالب؛ لأنّ الّذي يتولّاه هو الغالب الّذي لا يُغلب، ولكن المهمّ أن تُبادر أنت، فالفعل الأوّل بيدك، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمّد].

﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾: أي الجماعة الّذين يمثّلون منهج الله ﷻ، فالفئة المؤمنة ستنتصر، ولكن هذه ليست قاعدةً، ففي معركة أُحُد كان الرّسول الكريم ﷺ معهم في المعركة، ولم يحقّق جيش المسلمين الانتصار؛ لأنّهم خالفوا أمر الرّسول ﷺ، فليس معنى قوله ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمّد: من الآية ٧]، بأنّ المؤمن لن يتعرّض للابتلاءات والانكسارات، وإنّما يتبعها دائماً النّصر الّذي وعد الله ﷻ عباده المؤمنين عندما قال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الرّوم: من الآية ٤٧].

(الآية ٥٧) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾:

نهى الله ﷻ عن موالاة اليهود ومشركي قريش أي ألّا تكون العلاقة معهم على حساب القيم والأخلاق التي جاء بها الإسلام.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: الإيمان يحتاج إلى تقوى، وتحديد معنى التّقوى كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ

قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذّاريات]، وكما حدّدها الإمام عليّ كرم الله وجهه هي: (الخوف من الجليل، والعمل بالتّنزيل، والاستعداد ليوم الرّحيل)، فيجب أن تعمل بكلّ القيم الأخلاقيّة والضّوابط الإيمانيّة الموجودة حتّى تكون تقيّاً.

(الآية ٥٨) - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: النّداء: هو الدّعوة بجهر، فالأذان هو سنّة عن النّبيّ ﷺ لكنّه ورد في القرآن الكريم أيضاً؛ لأنّ النّداء للصّلاة هو دعوةٌ بجهرٍ.

﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: يقولون: ما هذه الأصوات؟ رغم أنّ الأذان عندما يصدح فهو يشرح قلب المؤمن وغير المؤمن، طبعاً لا بدّ أن يكون الصّوت نديّاً وجميلاً حتّى لا تنعكس الصّورة، فالنّبيّ ﷺ عند الرؤيا المتعلّقة بالأذان قال لعبد الله بن زيد رضي الله عنه: «**إنّها لرؤيا حقّ إن شاء الله، فقم مع بلال فألقِ عليه ما رأيت فليؤذّن به فإنّه أندى صوتاً منك**»[1]، وعلّل ذلك بأنّه أندى صوتاً، ولذلك ندعو ونعمل على تحسين أداء المؤذّنين في كلّ مكان من أجل أن تكون الأصوات تناسب الكلام الذي ينطلق من حنجرة المؤذّنين الّذين قال عنهم النّبيّ ﷺ: «**المؤذّنون أطول النّاس أعناقاً**

(١) سنن أبي داوود: كتاب الصّلاة، باب كيف الأذان، الحديث رقم (٤٩٩).

يوم القيامة»[1]؛ لأنّ هذا الكلام هو كلامٌ عظيمٌ، هو (الله أكبر) من كلّ همومك ومتاعبك وانشغالاتك في هذه الدّنيا، فإن كنت في همٍّ فالله أكبر منه، وإن كنت في عملٍ فالله أكبر منه، إذاً يجب أن يكون محصّناً بالصّوت الجميل والنّديّ، وأن لا يكون سبباً لإيذاء الأذان.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: كلمة العقل جاءت من: عقل النّاقة، وهو ربط قدمها بحبلٍ لكبح جماحها، وبعض النّاس أراد أن يطلق حريّة الفكر كما شاء من دون ضوابط حسب الأهواء وهذا يتنافى مع العقل، فالعقل يمنع الفكر أن يكون مبرّراً للهوى الّذي هو انحيازٌ عن الطّريق السّليم، والعقل يرشدك ألّا تؤذي جيرانك أو تسرق من مال الغير أو تقتل أو تعتدي، لذلك فالمولى ﷻ خاطبهم بموضوع العقل؛ لأنّهم قومٌ لا يعقلون أي أنّ عقلهم لا يمنع أهواءهم، فالعقل يجعل الإنسان لا يرتكب السّيّئة؛ لأنّه يفكّر بعقوبتها وبالجزاء الحسن، والإنسان العاقل لا يعبد هواه بدلاً من الله تبارك وتعالى.

(الآية ٥٩) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾:

الخطاب للنّبيّ ﷺ، وعندما يقول المولى ﷻ للنّبيّ ﷺ: ﴿قُلْ﴾ كأنّه يخاطب من خلال النّبيّ ﷺ الأمّة كلّها، فإن كان القائل هو الله ﷻ فنحن

(١) صحيح مسلم: كتاب الصّلاة، باب فضل الأذان وهرب الشّيطان عند سماعه، الحديث رقم (٣٨٧).

نمتثل لأمر الله ﷻ، والنّبيّ ﷺ لا ينطق عن الهوى.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: الحديث موجّهٌ لليهود.

﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾: فالنّبيّ ﷺ قال لجماعة خيبر وبني قينقاع وبني النّضير واليهود الّذين كانوا موجودين في ذلك الوقت: هل تنقمون لأنّنا آمنّا بالكتب والرّسل وبالتّوراة والإنجيل والزّبور، ومع ذلك تكرهون هذا الأمر؟

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾: وهنا صيانة الاحتمال، فلم يقل: كلّكم، بل قال: ﴿أَكْثَرَكُمْ﴾ فنحن لا نهاجم اليهود كدينٍ يهوديٍّ.

﴿فَاسِقُونَ﴾: أي خارجون عن طاعة الله ﷻ، ولو أنّكم أطعتم الله تبارك وتعالى لكنتم آمنتم بمحمّد ﷺ.

(الآية ٦٠) - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: شرّ ممّا تنقمون وتحقّقون من أذى بكراهيتكم وبغضكم وحربكم علينا؟!

﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾: هل الله ﷻ يُثيب اليهود على ما يفعلونه؟ والجواب: هنا الله ﷻ يريد أن يقلب المعايير، مثل قوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: من الآية ٢١]، أي فأنذرهم بعذابٍ أليمٍ، فلو كان هذا القرآن من عند غير الله ﷻ لكتب: (وأنذرهم)؛ لأنّ العذاب إنذارٌ وليس بشارةً، لكن الله

جلّ وعلا أراد من خلال هذه اللّغة الّتي قدّسها القرآن الكريم أن يتهكّم بهم؛ لأنّه قلب المعايير والموازين فقال: ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾.

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾: اليهود ملعونون ومغضوبٌ عليهم، فالله جلّ وعلا لعنهم أي طردهم من رحمته، وغضب عليهم بعد أن طردهم، والغضب معناه أنّ اللّعنة لا تنفكّ عنهم أبداً، فالغضب يلاحقهم، فهم إمّا الّذين اعتدوا في السّبت، أو أنّهم الّذين عبدوا العجل، أو الّذين أنكروا وكفروا بالمسيح عليه السلام بعد نزول المائدة.

﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾: قال العلماء: إنّ الله سبحانه وتعالى مسخ هذه المجموعة الّتي عبدت العجل حقيقةً بأجسامهم، وقال بعض المفسّرين: بأنّهم مُسِخوا بأخلاقهم، وهذه الأخلاق تتوارث؛ لأنّه لا أخلاق عند القردة والخنازير، فهم من شرّ البهائم، وقال بعض المفسّرين: بأنّه تمّ مسخهم فعلاً أي هذه المجموعة الّتي عبدت الطّاغوت، أي الّذين عبدوا وامتثلوا لأمر الطّواغيت.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾: في اللّغة العربيّة لا نستخدم عند التّفضيل كلمتي (أخير وأشرّ)، وإنّما نقول: محمّدٌ خيرٌ من أحمد، وأولئك شرٌّ من غيرهم.

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن الطّريق الصّحيح المستقيم.

(الآية ٦١) – ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ٦١﴾:

فهؤلاء كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وقلوبهم

محمّلةٌ بالكفر برسول الله ﷺ، لكنّ الله ﷻ أعلم بما كانوا يكتمون، وأعلم بكفرهم وحقدهم وبغضهم للإسلام وللرّسول ﷺ الّذي كان يعلم بعضاً منهم.

(الآية ٦٢) – ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾:

﴿ٱلسُّحْتَ﴾: هو كلّ مالٍ أُخِذ بالحرام، كالرَّشوة والسَّرقة والغصب والاحتيال.

(الآية ٦٣) – ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾:

﴿لَوْلَا﴾: دعوة لأن تفعل ذلك.

﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: هم الّذين يدّعون بأنّهم ينتسبون للرّبّ.

﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: هم علماء وسدنة الدّين اليهوديّ.

فإذاً لو كانوا يمنعونهم عن قول الإثم وأكلهم السّحت، فأيّ إنسانٍ يعمل بأيّ حقلٍ من الحقول يمكن أن تأخذ بقوله وبنظريّته كعالم الفيزياء والكيمياء والطّبيب والحرفيّ والتّاجر والمزارع والسّياسيّ دون أن تكون لك علاقةٌ بسلوكه، إلّا من يحمل العلم الدّينيّ فلا يجوز أن يقول لك:

خُذْ بِعِلْمِي ولا تركنْ إلى عَمَلي واجْنِ الثِّمارَ وخَلِّ العُودَ لِلنَّارِ

هذا الكلام غير مقبول؛ لأنّ الرّسول ﷺ ما كان يأمر بأمرٍ إلّا كان أوّل من يمتثل له، فالقضيّة قضيّة سلوكٍ لمن يحمل الرّسالة، إن كانوا أحباراً أو

علماءَ، فلا يجوز أن يقول الدّاعي إلى الله ﷻ ما لا يعمل، فالأحبار لم ينهوا اليهود عن أكل السّحت وارتكاب الإثم.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: المولى ﷻ قال: ﴿يَصْنَعُونَ﴾ ولم يقل: (يعملون)، أو: (يقولون) أو: (يفعلون)، مع أنّه عندما ذكر المؤمنين قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصّف]، بينما هنا قال: ﴿يَصْنَعُونَ﴾؛ لأنّه ليس فقط عملهم بارتكاب السّوء وأكل السّحت، ولكن أيضاً بقولهم، فهم لم يكونوا ينهون عن هذا، فإذاً الصّنع يجمع بين العمل والقول؛ لذلك قال الله ﷻ: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

(الآية ٦٤) – ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٤﴾:

كان اليهود يقولون: يد الله مغلولةٌ عن العطاء، ونحن عندما نقول: يد الله ﷻ، نعلم أنّ أيّ صفةٍ يذكرها لنا المولى ﷻ في القرآن الكريم لا تشبه أيّ صفةٍ عند النّاس، بل نضع بين قوسين قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، يعني هو حيٌّ ﷻ وأنت حيّ، لكن ليس كمثله شيءٌ، هو قويٌّ وأنت قويٌّ، ولكن ليس كمثله شيءٌ، له يدٌ ولك يدٌ، ولكن ليس كمثله شيءٌ، فإيّاك أن تعتقد أنّ اليد الجارحة المعروفة لنا هي الّتي نتحدّث

عنها، وهنا تأتي بمعنى النّعمة، فعندما يقولون: يد الله مغلولةٌ، بمعنى نِعَم الله ممنوعةٌ، وفي قوله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: من الآية ١]، أي القدرة والقوّة وليس معناها اليد بالمعنى الحرفيّ.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي شلّت أيديهم، والدّعاء هو طلبٌ، فهل يطلب الله ﷻ من نفسه وهو الّذي يُجيب الدّعاء؟ والجواب: أنّ من يقول: يد الله مغلولة، فقولوا: غلّت أيديهم.

﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾: واللّعنة هي الطّرد من رحمة الله ﷻ.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ﴾: فكانوا كلّما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن الكريم ازدادوا كفراً وطغياناً وحقداً وحسداً لأمّة العرب الّتي خرج منها النّبيّ ﷺ.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ﴾: فالعداوة والبغضاء ستبقى بينهم إلى يوم القيامة، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ﷻ، وكأن الله ﷻ يقول: بأنّ كلّ حربٍ تجري على وجه الأرض إنّما هم موقدوها ومفتعلوها.

﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ﴾: أي أخمد الله ﷻ نيرانها.

(الآية ٦٥) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾:

بشكلٍ عامٍّ الإيمان والتّقوى أمران متلازمان، فلا يكفي أن تقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، ولا تقوم بوظائف الإيمان، فتكون كما

قال ﷻ: ﴿* قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [الحجرات]، والإيمان لم يرد في القرآن الكريم إلّا ومعه العمل الصّالح أو التّقوى، فإن لم يجتمع الإيمان مع التّقوى يعني هذا بأنّ الإيمان غير محقّقٍ، وأنّ الإيمان هو قولٌ باللّسان فقط.

﴿لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: تكفير السّيئات هو محوها، وكلمة (التّكفير) الّتي ترد في القرآن الكريم ترد بمعنى السّتر، والمعنى هنا: لسترنا عنهم سيّئاتهم.

﴿وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: فكانت نتيجة تكفير السّيئات أن يدخلوا جنّات النّعيم.

(الآية ٦٦) – ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦﴾:

﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ﴾: يُعبّر عن المال بالأكل، وليس فقط عن الطّعام، فإذاً هو تعبيرٌ عامٌّ وجامعٌ، فعندما يقول: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ أي نزلت عليهم الخيرات من فوقهم، فالماء الّذي ينزل من السّماء هو الّذي ينبت الزّرع وهو الّذي يحيي الضّرع.

﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ﴾: أي من الأرض وما تخرج من معادن وذهبٍ ونحاسٍ وبترولٍ ونباتاتٍ، فلو أبقى الإنسانُ الصّلاح على صلاحه وأخذ بما

أرسل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ لجاءهم ما يؤدّي إلى استمرار الحياة من خلال ما ينزل من رزقٍ من فوقٍ أو من تحت الأرض، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى جعل الإنسان يستطيع أن يبقى بلا طعامٍ ثلاثين يوماً، وبلا ماءٍ ثلاثة أيامٍ، وبلا هواءٍ نفساً واحداً، فممكن أن يحتكر البشر الطّعام فتصبر عن الطّعام ثلاثين يوماً، وتصبر عن الماء ثلاثة أيامٍ؛ لذلك هناك من يستطيع أن يحتكر الماء لكنّه أقلّ ممّن يحتكر الطّعام؛ لأنّ الإنسان بحاجة الماء أكثر، أمّا الهواء فلا يستطيع أحدٌ احتكاره إلّا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يستطيع أحدٌ أن يقول: سأمنع عنك الهواء.

﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾: هذا قانون صيانة الاحتمال، فمنهم أمّةٌ مقتصدةٌ أو جماعةٌ مقتصدةٌ، وهم الّذين يسيرون في السّبيل القاصد، أي في السّبيل الّذي يوصل إلى الغاية.

(الآية ٦٧) - ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾:

﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ﴾: والنّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عمله أن يبلّغ عن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فعندما يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ﴾ أي استمرّ في التّبليغ مهما عادوك ومهما آذوك ومهما ظلموك ومهما قاتلوك.

﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾: لا يمكن للرّسالة أن تتجزّأ، فنأخذ منها ما نريد ونترك ما لا نريد، وعلّة المسلمين في العالم أنّهم يتعاملون

مع القرآن الكريم حسب مصالحهم، يأخذون الإباحة ويدعون الإلزام، فمن المباح أن يتزوّج الرّجل أكثر من امرأة، ولكنّ الإلزام أن يكون هناك عدلٌ وألّا يؤذي زوجته الأولى، فيجب أن يعمل بالإلزام ثمّ يأخذ بالإباحة، والقضيّة نفسها بكلّ الأوامر، فأوّل ما يصبح هناك ميراثٌ يسأل فوراً عن حصّته، وهو مكلّفٌ بالنّفقة على أولاد أخيه فيترك الإلزام ويأخذ الإباحة هذا هو معنى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فيجب أن تكون الرّسالة كاملةً متكاملةً.

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النّبيّ ﷺ يُحرَس حتّى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأسه من القبّة فقال لهم: «**يا أيّها النّاس، انصرفوا فقد عصمني الله**»[1]، فكان ﷺ يتحمّل الأذى، لكن لا أحد يستطيع أن يقتله أو ينال منه ليمنعوه عن أن يتمّ الرّسالة. وهذه الآية أكبر دليلٍ على أنّ القرآن الكريم هو من عند الله ﷻ وليس من كلام البشر، فكيف للنّبيّ ﷺ وهو أمام جبهاتٍ متتاليةٍ من الأعداء من اليهود والمنافقين وكفّار قريش ثمّ يصرف الحرّاس؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لأنّهم كفرةٌ فلا يهديهم الله ﷻ، فالله ﷻ أنزل لك الرّسالات السّماويّة حتّى تؤمن وليس لتكون كافراً، وعندنا نوعان من الهداية: هداية الدّلالة للجميع، وهداية المعونة، أي أنّك

(١) سنن التّرمذيّ: تفسير القرآن، سورة (المائدة)، الحديث رقم (٣٠٤٦).

تكفر بعلمك فلا يهديك الله ﷻ.

(الآية ٦٨) - ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾:

لستم على شيء حتّى تقيموا ما جاءكم بالكتب السّماويّة.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: أي كلّ ما نزل إليك من القرآن الكريم يزداد به اليهود كفراً وطغياناً، ويزدادون بأساً وحقداً وحسداً وتآمراً عليك يا محمد.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي لا تحزن لأنّهم هم من اختاروا الكفر، فالنّبيّ ﷺ كان يحزن عليهم؛ لأنّهم لا يهتدون.

(الآية ٦٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾:

هذه الآية شبيهة جدّاً بآيتين أُخريين، فهناك ثلاث آياتٍ وردت في القرآن الكريم بالصّيغة نفسها تقريباً ولكن بينها اختلافٌ بسيطٌ، الموضع الأوّل في سورة (البقرة): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة]، الموضع الثّاني هو هذه الآية من سورة (المائدة)، والموضع الثّالث في سورة (الحجّ): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحجّ]، هنا نضع الآيات الثّلاث ونحلّل بدل أن نلقّن؛ لنفهم المعاني القرآنيّة، فالموجود أمامي في سورة (المائدة): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ جاءت فيها (الصّابئون) قبل (النّصارى)، بينما الآية في سورة (البقرة) جاءت كلمة (النّصارى) قبل (الصّابئين)، وجاء الإعراب بالنّصب، بينما هنا يوجد كسرٌ في الإعراب، إذ يجب أن تكون: (والصّابئين)؛ لأنّها معطوفة على اسم إنّ، والصّابئون: هم فرقةٌ كانوا على ديانة نوح عليه السلام، ثمّ انحرفوا وعبدوا الكواكب والملائكة، فلماذا كسر المولى جلّ وعلا الحركة؟ والجواب: كسرها؛ لينبّه أنّ هؤلاء ليسوا مع الّذين هادوا والنّصارى والمسلمين، فرفع الإعراب وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، وليس: (والصّابئين)، فالصّابئون لهم موضوعٌ آخرٌ، ويشترط الله سبحانه وتعالى عليهم أن يعودوا للإيمان ويعملوا عملاً صالحاً، إذاً هذه الآية هي تصفيةٌ إيمانيّةٌ، والخطاب هنا للّذين آمنوا بالقول وليس بالعمل، فلا يكفي أن أكون مؤمناً بالله سبحانه وتعالى واليوم الآخر فقط، بل عليّ ألّا أكذب ولا أغشّ ولا أرتشي ولا أقتل ولا أنهب، وأن أُميط الأذى عن الطّريق وأبدأ بالسّلام، وأتحلّى بكلّ الأخلاق الحسنة، وأعمل صالحاً. أمّا في سورة (الحجّ) فأدخل الّذين أشركوا المجوس وهم عبدة النّار، لكن ختامها ليس كختام الآية في سورة (البقرة) والآيتان في سورة (المائدة) ختامهنّ: (لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)، أمّا في سورة (الحجّ) فختامها مختلف، فلم يقل: (لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)، بل ختمها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾، يفصل

بينهم يوم القيامة؛ لأنّه دخل فيهم الّذين أشركوا والمجوس، فإذاً عندما تتغيّر حركةٌ إعرابيّةٌ يتغيّر المعنى.

(الآية ٧٠) - ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾:

الميثاق: هو العهد الموثّق الّذي يخشى عدم الإيفاء به.

﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، ومن أبنائه يوسف وإخوته، ومن نسله جاء موسى عليه السلام وبقيّة الأنبياء.

﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ﴾: من الرّسل الّذين أُرسِلوا لبني إسرائيل موسى وعيسى وداوود وسليمان ويحيى وزكريّا عليهم السلام.

﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: اليهود لم يكونوا يريدون رسلاً من عند الله سبحانه وتعالى، ولا يريدون أن يعرفوا منهج الله عزّ وجلّ، فهم لا يهوون إلّا مصالحهم، فكلّما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذّبوه أو قتلوه، الملفت للنّظر أنّ الله سبحانه وتعالى في الآية مرّةً استخدم الفعل الماضي ومرّةً استخدم الفعل المضارع، ولو كان من عند غير الله تبارك وتعالى لكانت الآية: (فريقاً كذّبوا وفريقاً قتلوا)؛ لأنّ الفعل حدث بالماضي، لكنّ القرآن الكريم قال: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾، كأنّهم يقتلون بهذه اللّحظة، واستخدم الفعل المضارع ليشنّع الفعل بأنّ هؤلاء قَتَلَة، فالإسلام يحرّم القتل ويبشّع صورته، وصحيحٌ أنّ الآيات السّابقة تقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [المائدة: من الآية ٦٥]، ولكنّ المولى سبحانه وتعالى يحدّد بني

إسرائيل من كثرة جرائمهم وعدوانهم وخيانتهم لرسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة.

(الآية ٧١) - ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾:

حَسَب: يعني عدّ، وحسِب: يعني ظنّ، إذاً الفارق بالحركة الإعرابيّة بين حسَب وحسِب.

﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾: أي ظنّوا ألّا تكون فتنةٌ فعموا وصمّوا.

﴿فِتۡنَةٞ﴾: يعني اختبارٌ وابتلاءٌ من الله ﷻ لشعب بني إسرائيل، نتيجةً لقتلهم وتكذيبهم الأنبياء عليهم السلام، فإذاً هم عموا وصمّوا، ووسائل الإدراك أنت مسؤولٌ عنها، جعلها الله ﷻ لك من أجل أن تُسأَل عنها، فأوّل قضيّةٍ هم أعموا أبصارهم، فلماذا قدّم العمى هنا على الصّمم؟ رغم أنّ السّمع دائماً يقدّم على البصر، لكن هنا قدّم البصر والعمى وهو عمى القلب؛ لأنّ التّجربة الّتي يراها الإنسان هي أصدق من التّجربة الّتي يسمعها؛ فعندما تكون الفتنة والاختبار يكون أوّلاً بما رأيت أنت، وبعد ذلك بما سمعت، وما بلّغت، وكما هو معلومٌ فإنّهم ارتكبوا كلّ الجرائم، فعبدوا العجل، وطالبوا أن يروا الله ﷻ جهراً، وخاصموا الأنبياء وكذّبوهم، بل وقتلوهم، وفي كلّ مرّةٍ كان المولى ﷻ يتوب عليهم ويعفو عنهم، ثمّ يعودون إلى نفس ما فعلوه من عمى القلب.

وهنا تأتي آياتٌ متتابعاتٌ تتعلّق بعقيدة النّصارى:

(الآية ٧٢-٧٣-٧٤) - ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾:

وقد جَمَعتُ الآيات؛ لأنّنا أمام عقيدة النّصارى، وهذه الآيات تبرز عقيدة المسلمين فيما يتعلق بالسّيّد المسيح عليه السلام، وحتّى يكون الأمر واضحاً وجليّاً للنّاس جميعاً يجب ألّا نبتر آيات القرآن الكريم، فسنجد كيف أعطانا الله سبحانه وتعالى الحكم الّذي يجب أن يكون سلوكيّاً فيما يتعلّق بالإخوة المسيحيّين، فهناك اختلافٌ في العقيدة بين المسلمين وبين المسيحيّين، وهذا الاختلاف هو في هذه الآيات الثّلاث، فعلينا أوّلاً أن نناقش الأمر العقائديّ بالفكر والعقل وليس بالخصام ولا بالعداوات ولا بالأثر السّلبيّ في الاختلاف بين الدّين الإسلاميّ والدّين المسيحيّ.

نبدأ بموضوع التّكفير: وهو أخطر المواضيع الّتي ابتلي بها المسلمون منذ عصر الخوارج عندما وقفوا في وجه الصّحابة وكفّروا أكبرهم وهو الإمام عليّ كرّم الله وجهه إلى عصرنا الحالي. فكلّ الحركات التّكفيريّة اعتمدت على مبدأ أنّ كلمة كفر يقابلها القتل، وهؤلاء نسمّيهم تكفيريّين: أي أنّهم حوّلوا القضيّة الفكريّة العقائديّة إلى قضيّةٍ سلوكيّةٍ وهي ارتكاب الجرائم، فهم

يقولون: إنّ ديننا دين تكفيرٍ، وينسبون للدّين ما أراده أعداء الدّين، ويعاقبون النّاس على القضيّة العقائديّة وكأنّهم وكلاء عن الله ﷻ، وينسَون قول الله ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]، وقوله ﷻ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية]، فلا يجوز لك أن تحاسب الإنسان غير المسلم، فإنّ الحساب لله ﷻ، وهم يغيّرون الحكم الشّرعيّ. والله ﷻ ما أذن للمسلمين أن يقاتلوا الكافرين إلّا إذا كانوا معتدين، فقال تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحجّ]، كلّ الآيات الكريمة توضّح بأنّ الله ﷻ لا يحبّ المعتدين، وتوضّح حرمة النّفس البشريّة، وقد قسّم أهل الكتاب إلى قسمين: اليهود والنّصارى، ووضع الأساس في التّعامل مع اليهود ومع النّصارى بقوله ﷻ: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾ [المائدة]، وقدّم اليهود على الّذين أشركوا، وهم أشدّ النّاس عداوةً للمسلمين.

(الآية ٧٥) – ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾:

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: أي أنّه عليه السلام من عباد الله المرسَلين، الّذين ليس لهم من الأمر ولا من التّشريع، إلّا ما أرسلهم

به الله ﷻ، وهو من جنس الرّسل قبله.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾: فالسّيّدة مريم كانت من الصّدّيقين الّذين هم أعلى الخلق رتبةً بعد الأنبياء، والصّدّيقيّة: هي العلم النّافع المثمر لليقين، والعمل الصّالح. وهذا دليلٌ على أنّ السّيّدة مريم لم تكن نبيّةً، بل أعلى أحوالها الصّديقيّة، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً، وقد كرّمها القرآن الكريم تكريماً عظيماً بجعل سورة من سور القرآن الكريم باسمها.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾: وهذا دليلٌ ظاهرٌ على أنّهما من جنس البشر، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطّعام والشّراب.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ﴾: الموضّحة للحقّ، الكاشفة لليقين.

(الآية ٧٦) – ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾:

ويدلّل الله ﷻ على ذلك بأنّ العبادة هي طاعة المخلوق للخالق، وأنّ الله هو السّميع العليم، ولم يقل: السّميع البصير؛ لأنّه عندما قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ فهذا يحتاج إلى علمٍ.

(الآية ٧٧) – ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾:

الحديث كما ذكرنا سابقاً يتعلّق باليهود الّذين كانوا يحاولون في المدينة المنوّرة الاتّفاق مع المشركين ضدّ الرّسول ﷺ، وكانوا يغالون في دينهم فهم يريدون نبيّاً من شعب بني إسرائيل، ولا يريدون أن يأتي النّبيّ من العرب، فها

هو كعب بن الأشرف –وهو من أثرياء وكبار اليهود– مع أنّ لديه في التّوراة كلّ علامات النّبيّ ﷺ، ولديه أنّ هناك إلهاً واحداً، وأنّ التّوراة كتابٌ سماويٌّ، وأنّ موسى عليه السلام نبيٌّ من أنبياء الله ﷻ، وأنّ عيسى عليه السلام نبيٌّ من أنبياء الله ﷻ، وعندما جاء محمّدٌ ﷺ يدعو لعبادة الله ﷻ الواحد الّذي أنزل التّوراة والإنجيل والزّبور، ذهب كعب بن الأشرف إلى مشركي مكّة وقال لهم: أنتم أهدى من محمّدٍ سبيلاً، فاليهود هم الّذين غالوا.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾: ضلّوا سابقاً وعبدوا العجل، هذا الضَّلال الأوّل، وأضلّوا كثيراً من خلفهم ممّن سار على نهجهم.

﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: ضلّوا عن الصّراط المستقيم الّذي يؤدّي إلى الغاية وفلاح الدّنيا والآخرة، فشعب بني إسرائيل الّذين وقفوا بوجه سيّدنا موسى عليه السلام بعد أن تجرّؤوا وطلبوا رؤية الله ﷻ جهرةً، وبعد أن شقّ بعصاه البحر، وبعد أن أنزل الله ﷻ عليه المنّ والسّلوى، وبعد كلّ العطايا والآيات الّتي نزلت عليهم ضلّوا، فكان الضّلال ديدنهم في كلّ مكان.

(الآية ٧٨) – ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾:

﴿لُعِنَ﴾: طُرد من رحمة الله ﷻ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: خصّ الّذين كفروا منهم؛ لأنّه يوجد قسمٌ من بني إسرائيل لم يكفروا، وذلك من أجل قانون صيانة الاحتمال.

﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾: لُعنوا في الزّبور؛ لأنّ سيّدنا داود

دعا عليهم يوم اعتدوا في السّبت: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: من الآية ٦٥]، ولعنوا على لسان السّيّد المسيح عليه السلام؛ لاتّهامهم العذراء البتول السّيّدة مريم عليها السّلام بالبهتان.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: ما الفرق بين المعصية والاعتداء؟ المعصيّة هي إثمٌ تفعله لوحدك، أمّا إن تعدّى الإثم على الغير فهذا يكون اعتداءً، وما نراه الآن من الاعتداءات التي نراها على المسجد الأقصى وعلى الشّعب الفلسطينيّ وعلى الشّعب السّوريّ وفي كلّ مكانٍ دليلٌ على صدق القرآن الكريم.

(الآية ٧٩) – ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾: أي قرّروا أن يفعلوه، ومقابل التّناهي عن المنكر التّواصي بالحقّ والتّواصي بالصّبر، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

﴿عَن مُّنكَرٍ﴾: المنكر هو كلّ ما أنكرته الفطرة وأنكره النّاس كالقتل والسّرقة والزّنى والاعتداء.. هنا نقف عند قول النّبيّ ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1]، فالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يكون

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب ٢٠، الحديث رقم (٤٩).

لأقوامٍ محدّدين يأمرون النّاس، ويقولون: نحن سلطة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، بل كلّ النّاس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالتّواصي، فأنا اليوم أوصيك بالصّبر وأنت غداً توصيني بالصّبر، يومٌ أنت موصي ويومٌ أنت موصى، يومٌ أنت تنهَى ويومٌ أنت تُنهى، إذاً هي تحصينٌ للمجتمع بأكمله وليست فئةٌ من المجتمع تُختار ويقال عنهم: هؤلاء فئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فإن رأيت أحدهم يدخّن السّجائر فهل تضربه لقول النّبيّ ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1]، مبرّراً ضربي له أنّني قادرٌ على ضربه، هل هذا هو معنى الحديث؟ انظروا كيف حرّفوا القرآن الكريم وحرّفوا الحديث النّبويّ الشّريف، لذلك قبل أن نهاجم الحديث وسنّة النّبيّ ﷺ ونهاجم الدّين يجب علينا معرفة التّفسير الصّحيح والحقيقيّ، أوّلاً نذكر السّورة الّتي ذُكر فيها التّواصي بالحقّ والتّواصي بالصّبر، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر]، فنجد أنّه يشمل كلّ النّاس، والوصيّة هي شيءٌ يُعطى كالهديّة، ومعنى قول النّبيّ ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده**» أي إن كان لك سلطة المغيِّر على المغيَّر فتستطيع أن تغيّره بيدك، مثال: إن كنت أباً ورأيت ابنك يدخّن السّجائر فتستطيع وقتها أن تغيّر المنكر بيدك، أمّا إن

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النّهي عن المنكر من الإيمان، الحديث رقم (٤٩).

لم يكن لك سلطة فالقضاء والقانون هو الّذي يمنع ويزجر ويردع، فلا يستطيع أيّ إنسانٍ أن يأتي ويقول: أنا سأغيّر المنكر، فإن وجد دكّاناً فيه منكرٌ حطّمه، والدّليل على ذلك بأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**فإن لم يستطع فبلسانه**» أي بالكلمة الطّيّبة، وحتّى إن وجد أنّ الكلمة قد تؤذي وتنفّر: «**فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» أي أن ينكر الإنسان هذا الأمر بأنّه منكر ولا يقرّه، انظر لأدب الإسلام، ففي الإسلام تُحاسب على الكلمة، ولا تستطيع أن تعالج الخطأ بخطأ، فإن أردت أن تقدّم النّصيحة فقدّمها بقالب الهديّة كما قال ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النّحل]، وهذا إن كان يحقّ لك أن تتكلّم، أمّا إن كان لا يحقّ لك الكلام فبقلبك، أمّا التّغيير باليد أي القوّة فالمقصود بها القانون والقضاء والسّلطات المختصّة، أو الأب والأمّ على أولادهما إذا رأوا منهم أمراً منكراً يستطيعون تغييره بهذه الطّريقة.

(الآية ٨٠) - ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾:

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾: كما فعل اليهود أثناء غزوة الخندق، حيث اتّفق بنو النّضير مع القبائل العربيّة على رسول الله عليه الصّلاة والسّلام ومن معه من المؤمنين.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾: والنّتيجة أنّهم أحلّوا لأنفسهم غضب المولى ﷻ فطردهم من رحمته لذلك نتيجة المآل أنّهم في العذاب خالدون.

(الآية ٨١) - ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾:

فاليهود الكاذبون خارجون عن المنهج الّذي أراده الله ﷻ والّذي نزل على موسى عليه السلام.

تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ تعالى تَفْسِيرُ الجزْءِ السَّادس

اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ على كلِّ نِعمةٍ أنعمتَ بها علينا في قَديمٍ أو حَديثٍ، أو خاصَّةٍ أو عامَّةٍ، أو سرٍّ أو عَلانية، لكَ الحمدُ بالإسلامِ، ولَكَ الحمدُ بالإيمانِ، ولكَ الحمدُ بالقرآنِ، ولكَ الحمدُ بالمالِ والأهلِ والمعافاةِ.

اللَّهمَّ ارْفَعْنا بالقُرآنِ في دَرَجِ الجِنَانِ، وارْفَعْ عَنَّا بِفَضْلِهِ الأحْزانَ، وزوِّدْنا بِفَضْلِهِ مِنَ الخَيراتِ الحِسانِ، وَضَاعِفْ لَنا الأُجُورَ بِرَحْمَتِكَ وإحْسَانِكَ يا وَاهِبَ المِنَنِ الحِسَانِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِقُرْآنِكَ خَاشِعِينَ، وَبِلَيلِكَ قَائِمِينَ رَاكِعِينَ سَاجِدِينَ، وَبِعِبَادَتِكَ مُخْلِصِينَ، وَلِحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ تابِعِينَ، وبِحبِّكَ وَاصِلِينَ، وَلِجَنَّتِكَ مُسْتَحِقِينَ، وَلِوَجْهِكَ الكَرِيمِ نَاظِرِينَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

سُبحانَ ربِّك رَبِّ العزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ، والحمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

فهرس

رقم الآية – نصّ الآية **رقم الصّفحة**

تفسير سورة (النّساء) من الآية: (١٤٨–١٧٦):

١٤٨- ﴿*لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ ٩

١٤٩- ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ ١١

١٥٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ ١٢

١٥١- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ ١٤

١٥٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ ١٤

١٥٣- ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ ١٤

١٥٤- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤﴾ ١٦

١٥٥- ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥﴾ ١٧

١٥٦- ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦﴾ ١٨

١٥٧- ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾ ٢٠

١٥٨- ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾ ٢٢

١٥٩- ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ ٢٢

١٦٠- ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠﴾ ٢٣

١٦١- ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾ ٢٦

١٦٢- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ ٢٦

١٦٣- ﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ

وَهَـٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ ٢٨
١٦٤- ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ
وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ ٣١
١٦٥- ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾ ٣٣
١٦٦- ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ ٣٤
١٦٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾
..... ٣٤
١٦٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾
..... ٣٥
١٦٩- ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ ﴾
..... ٣٥
١٧٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن
تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ ﴾
..... ٣٦
١٧١- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا
ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ

وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ٣٧

١٧٢- ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ٣٩

١٧٣- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ٤١

١٧٤- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ٤٣

١٧٥- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ٤٤

١٧٦- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ٤٥

تفسير سورة (المائدة) من الآية: (١-٨١):

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ٥٤

٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ ٥٨

٣- ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ ٦٢

٤- ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾ ٦٧

٥- ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥﴾ ٦٨

٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى

ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا
فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ
لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ
لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ ٧٢

٧- ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ ٧٧

٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ٧٩

٩- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ ٨٥

١٠- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾
..... ٨٥

١١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن
يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ٨٦

١٢- ﴿*وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ٨٨

١٣- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ ٩٠

١٤- ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ ٩٥

١٥- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ ٩٦

١٦- ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ ٩٧

١٧- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ

وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۖ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ ١٠٠

١٨- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ
بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ ١٠٠

١٩- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا
جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾
..... ١٠٢

٢٠- ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ
وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠﴾ ١٠٢

٢١- ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ
أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ ١٠٣

٢٢- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن
يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾ ١٠٣

٢٣- ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ
فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ ١٠٤

٢٤- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ
إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ ١٠٤

٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ ١٠٤

٢٦- ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ ١٠٥

٢٧- ﴿*وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ ١٠٥

٢٨- ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ ١٠٩

٢٩- ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ ١٠٩

٣٠- ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ .. ١٠٩

٣١- ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ ١١٠

٣٢- ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ ١١٠

٣٣- ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ ١١٣

٣٤- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ ١١٥

٣٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ ١١٦

٣٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾ ... ١١٨

٣٧- ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾ ١١٨

٣٨- ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ ١١٩

٣٩- ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ ١٢٠

٤٠- ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾ ١٢٢

٤١- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ
ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ
لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ
مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ
ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ ١٢٣

٤٢- ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ
أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم
بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ١٢٧

٤٣- ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ١٢٧

٤٤- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ
لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ
عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن
لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ١٢٨

٤٥- ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ
وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ
فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ١٣٢
٤٦- ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ١٣٣
٤٧- ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ١٣٤
٤٨- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ١٣٤
٤٩- ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ١٣٩
٥٠- ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ ... ١٤٠
٥١- ﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ ١٤١
٥٢- ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ ... ١٤١

٥٣- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ ١٤٣

٥٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ ١٤٣

٥٥- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ ١٤٥

٥٦- ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ ١٤٦

٥٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ ١٤٦

٥٨- ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾ ١٤٧

٥٩- ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾ ١٤٨

٦٠- ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ .. ١٤٩

٦١- ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ٦١﴾ ١٥٠

٦٢- ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ ٦٢ ﴾ ١٥١
٦٣- ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ
يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾ ١٥١
٦٤- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ
كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ
ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾ ١٥٢
٦٥- ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ
وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ ﴾ ١٥٣
٦٦- ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن
فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا
يَعۡمَلُونَ ٦٦ ﴾ ١٥٤
٦٧- ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ
رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾
..... ١٥٥
٦٨- ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ
فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨ ﴾ ١٥٧

٦٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ١٥٧

٧٠- ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ١٥٩

٧١- ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ ١٦٠

٧٢- ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ ١٦١

٧٣- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ .. ١٦١

٧٤- ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ ١٦١

٧٥- ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ١٦٢

٧٦- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ ١٦٣

٧٧- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ ١٦٣

٧٨- ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ ١٦٤
٧٩- ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾
..... ١٦٥
٨٠- ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾
..... ١٦٧
٨١- ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾ ١٦٨
تضرّع ودعاء ١٦٩
فهرس: ١٧١